أعلام المسلمين
٨٣

شبلي النعماني

علامة الهند الأديب
والمؤرخ الناقد الأريب

تأليف
الأستاذ محمد أكرم الندوي

دار القلم
دمشق

شِبْلِي النُّعْمَانِي

عَلَّامَةُ الْهِنْدِ الْأَدِيبُ
وَالْمُؤَرِّخُ النَّاقِدُ الْأَرِيبُ

تأليف

الأستاذ محمَّد أكرم النَّدوي

شبلي النعماني

علامة الهند الأديب
والمؤرخ الناقد الأريب

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

تُطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

هٰـــذَا الرَّجُـــل

الشيخ الفاضل العلامة شِبْلي بن حبيب الله البندولي فريد هذا الزمان، المتفق على جلالته في العلم والشأن.

(عبد الحي الحسني)

كان محققاً باحثاً أديباً، وشاعراً منشئاً، وكاتباً قديراً، خطيباً، مؤرخاً، متكلِّماً، مفكراً، مُصْلحاً، سياسياً محنكاً، أخصائياً في التعليم، وثورياً تجاه كثير من متطلبات ومقتضيات العصر الراهن، فكأنه باقة أزهار متنوِّعة ذات ألوان زاهية جميلة.

(السيد سليمان الندوي)

يشبه السلف في العلم، وجَوْدة التأليف، وحسن التنسيق.

(السيد أحمد خان)

ما رأيت مجلساً في جميع أنحاء الهند يقارِبُ مجلسَه في الإمتاع والمؤانسة والإفادات العلمية.

(أبو الكلام آزاد)

كان قويَّ الحفظ، سريع الملاحظة، يكاد يكشِفُ حُجُبَ الضمائر، ويهتك أسرار السرائر، دقيقَ النظر، قويَّ الحجة، ذا نفوذ عجيب على جلسائه، فلا يباحثه أحدٌ في موضوع إلا شعر بانقياد إلى برهانه.

(عبد الحي الحسني)

إذا كان أهل البلاد يألفون كتابات شِبْلي فإنهم يوقنون بأنه لو كتب عشرة رجال حول موضوعٍ واحدٍ، لامتازَ بينهم شبلي بمنهجه الفريد.

(السيد أحمد خان)

صادَفْتُ كتاب (الفاروق) للعلاَّمة شبلي النعماني... ففُتِنْتُ بالتصوير الصادق والعرض الساحر، ... إنّ ألفاظ (الفاروق) الفخمة وحرارة جُمله وعبارته تنزل كالصاعقة وتمضي كالسيوف والأسنَّة.

(أبو الحسن علي الندوي)

شبلي النعماني الهندي الملقب بشمس العلماء: أديب، ناثر، ناظم.

(عمر رضا كحالة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقـدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على محمد النبيّ الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من أئمة الإسلام وعلماء الدين، الذين دعوا إلى الصراط القويم، وحَمَوْه من كيد الكائدين، وشبهات الضالين المضلّين، رحمهم الله رحمةً واسعةً، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً.

يرجِعُ تاريخ الإسلام في الهند إلى عهودِ الخلافة الراشدة، وضُمَّتْ بعضُ نواحي الهند إلى الخلافة في عهد بني أمية، ودخل علماءُ المسلمين والصوفيـةُ في الهند، فبدأَ انتشـار الإسلام في جميع نواحيها، وأقيمتْ للمسـلمين حكوماتٌ في المناطق الساحلية، والنواحي الغربيـة، حتى أصبحت دهلي عاصمةَ الدولة الإسلامية في القرن السادس للهجرة، وكان آخرُ ملوكها الأقوياء الملكَ المغوليَّ العالم الصالح المجاهد أورنك زيب عالمكير (ت١٧١١م) الذي حكَمَ الهند من أقصاها إلى أقصاها، وبقي في الحكمِ خمسينَ سنةً، ثم ورثـه ملـوك ضعفاء، وبدأت الإمبراطوريـة المغولية تنحسر حتى انتهت في سنة ١٨٥٧م حينما أخفقت ثورةُ المسلمين

الكبرى ضد الإنكليز، وتمَّ دخولُ معظم بلاد الهند تحت الاستعمار البريطاني.

ولكنّ من معجزة الإسلام الكبرى في الهند أنّه نشأ فيها إبّان ضعف الحكم المغولي الإمام المجدد، الذي قام بإحياء العلوم الإسلامية، ونشرِ السنن، وقمعِ البدع والمنكرات، وهو شيخ الإسلام ولي الله أحمد ابن عبد الرحيم الدَهلوي (ت١١٧٦هـ)، ثم خلفه ابنه الإمام عبد العزيز الدهلوي (ت١٢٣٩هـ)، الذي ملأ جميعَ أرجاء الهند بذكر الأحاديث والسنن، فلم يبقَ صِقْعٌ من الأصقاع القريبة أو البعيدة إلا دوّى صيتُه فيه، وتربّىٰ عليه الإمامان الشهيدان أحمد بن عرفان (ت١٢٤٣هـ)، ومحمد إسماعيل (ت١٢٤٣هـ) اللذان قاما بقيادة أكبر حركة جهادية عرفها تاريخ الهند، وخلّف الإمامُ عبد العزيز ابنَ بنته الإمام محمد إسحاق الدهلوي، وكان من تلامذته الإمام عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، والشيخ أحمد علي السهارنبوري، والإمام نذير حسين المحدث الدهلوي، وجمعٌ كبير من العلماء الأعلام.

تتلمذ على الإمام عبد الغني الدهلوي الإمامان محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند، ورشيد أحمد الكنكوهي الذي وقف حياته لنشر السنن ومحاربة البدع، وقرأ على الشيخ أحمد علي السهارنبوري العلامة شبلي النعماني أحد مؤسسي دار العلوم لندوة العلماء[1]، والذي يعدُّ أولَ معلم للعهد الحديث في الهند، وسأحاول

(١) يجدر بالذكر هنا أنّ سائر مؤسسي ندوة العلماء تنتهي أسانيدُهم إلى الإمام ولي=

في هذا الكتاب عرضَ مآثره التي خلّدته في التاريخ.

شهد القرنان الثالث عشر والرابع عشر للهجرة في العالم الإسلامي بأسره صراعاً بين القديم والحديث، صراعاً آذن بانصرام عهدٍ واستهلال عهدٍ جديد، وانقلابِ الموازين الفكرية والمقاييس النظرية، وتطوّر القيم والمثل، وتبدل الوجهات والآراء، وتحوّل القيادة من المتزعمين للدين إلى حملة لواء التحرر والانحلال.

أما الغرب المسيحي فقد خضعَ لهذا الوضع الجديد، واستسلم أمام الثورة الفكرية الحديثة المعارِضة للدين، ولكنّ العالم الإسلامي ـ بناء على الاختلاف الجذري بين طبيعة المسيحية وطبيعة الإسلام ـ لم يخضع للحضارة الإلحادية الناهضة، بل صمد لها ثابتاً على مبادئه الأصيلة الحكيمة، واختلفت مواقفُ العلماء المسلمين والزعماء الدينين نحو مواجهتهم لهذا السيل العرم للحضارة الغربية.

انقسم العلماء والقادة المسلمون في هذا الوضع العصيب القاسي

= الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، وأوسعُهم روايةً وأعلمُهم برجال الإسناد والرواية العلامة الشريف عبد الحي الحسني (والد الإمام الشريف أبي الحسن علي الندوي) الذي استجاز من الإمام فضل رحمن الكنج مرادآبادي (صاحب الإمام عبد العزيز الدهلوي، والإمام محمد إسحاق الدهلوي)، والعلامة المقرئ عبد الرحمن الباني بتي (صاحب الإمام محمد إسحاق الدهلوي)، والإمام السيد نذير حسين المحدث الدهلوي وجماعة.

نتيجةً لما يواجهه العالم البشري من صراعٍ مريرٍ عاتٍ إلى طائفتين :

طائفة تمسكت بمنهجها القديم، واعتبرت الانحراف ردةً ومروقاً من الدين.

وطائفة آمنت بكل حديث مستورد من الغرب مهما عارض العقل والنقل، وناقض المأثور الثابت والمعهود المؤيد بالمنطق والبرهان إيمانها بالغيب.

فكان العالم الإسلامي في أمسِّ حاجة إلى شخصية بارزة فذة تصفُ بالفكر السليم والدراسة الواسعة العميقة الناقدة لكل قديم وحديث، تعيدُ إلى الطبقة المثقفة ثقتها بالدين وتعاليمه الثابتة الخالدة، وتميّز بين الطيب والخبيث مما تمخّض عنه العهد الحديث في عالم الفكر والثقافة والتعليم، وتقضي على هذا الصراع الذي وزع العالم الإسلامي ومزّقه شرَّ ممزَّق.

برز العلامة (شبلي النعماني) على مسرح الوجود في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري بفكره الشامل الدقيق والمتزن العميق، وهو في الواقع نقطة بدايةٍ لعهد جديدٍ، لا في الهند وحدها بل في العالم الإسلامي بأسره، كان متخصصاً في العلوم الدينية، والفنون اللغوية والأدبية والعقلية القديمة، وخبيراً بالآراء والأفكار والثقافات والصناعات الحديثة، صَحِبَ العلماء والأساتذة الكبار المحافظين، والمثقفين العظام وخبراء التعليم الحديث، وكان ـ كما يصفه تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي ـ محققاً باحثاً أديباً، وشاعراً منشئاً، وكاتباً قديراً، خطيباً،

مؤرخاً، متكلِّماً، مفكراً، مصلحاً سياسياً محنكاً، أخصائياً في التعليم، وثورياً تجاه كثير من متطلبات ومقتضيات العصر الراهن، فكأنه باقَة أزهارٍ متنوّعةً ذات ألوان زاهية جميلة[1].

والذي يميزه بين العلماء والمثقفين في عصره هو جمعُه بين القديم والحديث، يقول العلامة السيد سليمان النَّدْوي: إن الأشخاص الذين يعتمد عليهم عهدُ الإصلاح في الهند كانوا منقسمين إلى طائفتين:

طائفة تغاضت عن متطلبات عصرها، ورأت في حماية التراث القديم نجاة للأمة، ولا ننكر ما لعلماء هذه الطائفة من فضل ومنة، فقد اعتنقوا ما ورثوه من سلفهم، وحموه من أيدي الأعداء الجانية.

قام الشيخان محمد قاسم النانوتوي ورشيد أحمد الكنكوهي وغيرهما من العلماء الربانيين ـ رحمهم الله تعالى ـ بأداء هذا الواجب خيرَ قيام، وأناروا قلوبَ الألوف، بل مئات الألوف من المسلمين بفيوضهم.

وطائفة تركت القديم، وركزت عنايتها كلها على الجديد. . . كان السيد أحمد خان، ومحسن الملك، والسيد كرامت علي الجونبوري، والمولوي نذير أحمد، ومولانا ألطاف حسين حالي من أركانها العظام.

كان العلامة (شبلي) آخر الداخلين في سلك المصلحين، ولكن لم

---

(١) حياة شبلي، ص١٠.

يكن آخرهم مكانةً، وكان أكبرُ مزاياه أنه كان مجمع الطائفتين، إنه كان متخصصاً في العلوم القديمة، وعارفاً بالعلوم الجديدة معرفةَ معاصريه، وكان الله قد أودعَ في شخصه كفاءات وصلاحيات مختلفة، إلى جانب تمكّنه في العلوم القديمة، فبرز على العالم بمظاهرَ للنبوغ لا يمكنُ للدهر أن يأتي بمثال له مدة طويلة[1].

ويقول السيد سليمان الندوي: «كان أقرانُه يحسنون فرعاً واحداً من الفنون، فكانوا فقهاء ومحدّثين، أو فلاسفةً ومتكلِّمين، أو كتّاباً منشئين، أو خطباءَ مصاقع، أو ناقدين وشعراء، لكنَّ هذا الفذّ الفريدَ كان جامعاً للعلوم والفنون، ما سلك وادياً إلا وسبقَ الجميع».

إنّ التبحّرَ الذي كان يمتاز به في العلوم الدينية والشرقية كان عظيماً لدرجة أنّ زعماء التجديد يعدون أصفاراً بالنسبة إليه، وكان العلماء المحافظون لا يحسنون المسائل الحديثة، أما علمُ التاريخ فقد تفرّد بإمامته بين هؤلاء جميعاً، واستقلّ بزعامة الفلسفة وعلم الكلام، وكان فارساً محنكاً في ميدان الشعر، واختط لنفسه أسلوباً جديداً في الكتابة والإنشاء السهل، وكان الملك المتفرد بمملكة الخطابة، وبزّ الجميع في الشعر[2].

ويقول السيد الندوي: «ومن مزاياه أنّه جمع بين العلم والعمل بحيث عجز أقرانه عن رؤية ما وصل إليه بصره الثاقب من عواقب

---

(١) ياد رفتكان، ص ١٨ ـ ١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.

الحركات الشعبية، كانت كثيرٌ من العيون فاقدة القدرة التي تنظر بها إلى مشاهد المآثر الوطنية والأعمال الدينية التي كان يراها عقله، وأراد أن يريها غيره، فلم يبقَ مجالٌ من مجالات العمل الوطنية، والتعليمية، والاجتماعية، والسياسية، والأدبية، والدينية، إلا وسبقت يداه إليه»[1].

هذه هي أول محاولة لتقديم حياة هذا الإمام العبقري إلى العالم العربي، والمصادر التي اعتمدتُ عليها معظمُها باللغة الأردية، وأهمُّها وأوثقُها (حياة شبلي) لتلميذه النجيب الإمام العلامة السيد سليمان الندوي، ويعتبره العلماء والباحثون أفضلَ ما أُلِّف في سير العلماء المعاصرين في الهند[2]، إنه ليس تاريخاً لرجلٍ، بل تاريخ لعصر، وهو في ثمانمئة وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وأصبح الكتاب مصدراً كبيراً للتاريخ العلمي والاجتماعي والإصلاحي في ذلك العهد، وهو العمدة في دراسة فكر شبلي وعصره[3]، فاعتمدتُ عليه كما اعتمد عليه

---

(١) ياد رفتكان، ص١٩.

(٢) مما يزيدُ الكتاب ثقةً أنّ مؤلفه تتلمذ على العلامة شبلي وصحبه وشاهد السنوات العشرة الأخيرة من حياته عن كثب، ولمّا فرغ من تأليفه عرضه على الأمير العالم حبيب الرحمن خان الشرواني الذي شارك شبلياً في معظم نشاطاته الاجتماعية والتعليمية، فقرأه وصدقه وزاد فيه أشياء. انظر مقدمة (حياة شبلي)، ص٨.

(٣) يقول العلامة السيد سليمان الندوي في مقدمة الكتاب: «إنّ هذا الكتاب الممتد إلى تسعمئة صفحة ليس عرضاً لحياة رجل واحد من هذا العصر، بل إنّه أصبح سجلاً للأحداث العلمية والأدبية والسياسية والتعليمية والدينية والوطنية=

غيري ممّن ألف عن شبلي وما عاصره من شخصيات وأحداث[1].

واستفدت من مصادر أخرى أشرتُ إليها حين الإحالة عليها، وأثبتُّها في قائمة المراجع.

قسمت الكتاب إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: سيرة شبلي الشخصية.

الباب الثاني: العلامة شبلي النعماني وجهوده في مجال التعليم والتوجيه.

الباب الثالث: مؤلفات العلامة شبلي.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعلَ هذا العملَ نافعاً وخالصاً لوجهه الكريم، ولله الحمد والشكر أولاً وأخيراً.

أكسفرد ١٠/ ٩/ ١٤٢١هـ
٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٠م

محمد أكرم الندوي

= لمسلمي الهند لمدة خمسين سنة.

(١) وقد سمعتُ شيخنا الشريف أبا الحسن علياً الندوي رحمه الله غيرَ مرة يوصي طلاب دار العلوم لندوة العلماء بدراسته، وكان يؤكد أنّه مصدرٌ أساسيٌّ لدراسة تاريخ الإسلام في الهند المعاصرة.

البَابُ الأوّل

سيرة شبليّ الشّخصيّة

- هوية شبلي الشخصية .
- تكوينه العلمي والتربوي .
- مجالات اختصاصه والعلوم التي برع فيها .
- بعض الحوادث في حياته ، ووفاته .
- أخلاقه وشمائله .

العهد الذي يمثّله العلامة شبلي النعماني عهدٌ حافل بالأعلام الأفذاذ من العلماء الكبار، ذوي العلم والبصر، والذهن المتّقد الواسع، في كلّ قطر من الأقطار الإسلامية، الذين أشعُّوا بعلمهم اللامع وفكرهم المستنير على ربوع الإسلام، ونشروا فيها العلم والدين، والثقافة والأدب، والهدى والرشاد.

وظهر العلامة شبلي النعماني بينهم كالعَلَم المفرد، ترك آثاراً بعيدةَ المدى في الجوانب العلمية، والأدبية، والتعليمية، والتأليفية، والتجديدية من حياة الأمة الإسلامية، فمِنَ العلماء من يقاربه في بعض هذه النواحي أو يماثله، ولكنّه يفوق كثيراً منهم في هذه الجوانب مجموعة[1]، وما هذا الكتاب المختصر إلا مساهمة متواضعة في تقديم حياته ومآثره باللغة العربية.

سأعرض في هذا الباب سيرة العلامة (شبلي النعماني) الشخصية: هويته، ونشأته، وطلبه للعلم، ومجالات اختصاصاته، والعلوم التي برع فيها، وأخلاقه وشمائله، وثناء الناس عليه، وذلك في خمسة فصول:

---

(١) انظر ما كتبه العلامة السيد سليمان الندوي في (ياد رفتكان)، ص١٦.

الفصل الأول

هوية شبلي الشخصية

يشتمل هذا الفصل على أهم الجوانب من نسبه وأسرته، وولادته وموطنه، وطفولته.

نسبه وأسرته:

هو العلامة الجليل، والمؤرخ العظيم، والمتكلّمُ الكبير، والمحقق البارع الضليع، والأديب المنشئ، والكاتب القدير، والمطلع البحاثة، مفيد الطالبين، وشيخ كبار العلماء والمثقفين في الديار الهندية، الشيخ محمد شبلي بن الشيخ حبيب الله بن المنشئ الشيخ حسن علي بن الشيخ عباد الله بن الشيخ كريم الدين بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد فخر جهان بن الشيخ أمان الله بن الشيخ محمد إسماعيل بن الشيخ مهدي بن الشيخ لال محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ سهراب بن شهباز بن شيوراج سينغ سراج الدين، البندولي مولداً ومنشأً، والنعماني مذهباً.

قال مؤرخ الهند العلامة عبد الحي الحسني في تحليته: «الشيخ

الفاضل العلامة شبلي بن حبيب الله البندولي فريدُ هذا الزمان، المتَّفقُ على جلالته في العلم والشأن»[1].

ينتمي شبلي إلى قرية (بندول)إحدى قرى مديرية (أعظم كره) بولاية (أترابراديش) شمالي الهند، وتمتازُ منطقة (أعظم كره) من بين بقاع الهند بما أنجبت من رجالات العلم والفن والشخصيات البارزة في كل مرحلة من مراحل التاريخ، ولاتزال أرضاً خِصبة مُنْجِبةً، وقرية بندول كان يسكنها راجبوت، وهي طبقة أصحاب الفروسية والحكم والسيادة، وإليها ينتسبُ العلامة شبلي[2].

اعتنق جَدُّه الأعلى الإسلام قبل أربعة قرون تقريباً، وكان اسمه شيوراج سينغ، ثم تسمّى سراجَ الدين، يتصل إليه العلامة شبلي بثلاث عشرة واسطة، كما مرّ في نسبه.

---

(١) السيد عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٤.

(٢) وما في (الأعلام) للزركلي: ٣/ ٢٢٧ أنه برهمي الأصل فخطأ، وطبقة راجبوت تعد من الطبقة العليا مثل البراهمة، وما أروع ما كتبه السيد سليمان الندوي بهذه المناسبة: «ما أعجب أن ينشأ هنديٌ في بيتٍ من بيوتِ راجبوت، فيشرح للعالم علومَ الرسول المطلبي الهاشمي ﷺ ومعارفه، ويرسم في النفوس عظمة عمر الفاروق رضي الله عنه، وسطوته وشوكته، ويكشفُ عن المصالح والحِكَم في فقه الإمام الأعظم النعمان بن ثابت الكوفي، ويقدِّرُ عن علمٍ ومعرفةٍ محاسنِ شعر العرب والعجم، ويستجلي أسرارَ الغزالي والرازي والرومي». (حياة شبلي، ص٥٩).

قصة إسلام سراج الدين:

يحكى عن إسلام سراج الدين أنّه خرج يوماً إلى بعض مقاطعاته في صباح مبكر، واستغرقَ ذلك وقتاً طويلاً، فتأخَّر رجوعه، ووصل إلى بيته عند الظهيرة بعد أن قطع أميالاً مشياً على الأقدام، وكان قد بلغَ الجوعُ والظمأُ منه مبلغهما، ففقد وعيه وقوته، ونزل عن فرسه، ودخل المطبخَ من دون أن يخلع نعليه، ويعتقد الهندوس أن دخول المطبخ في النعال يدنّسُ الطعام، وأمّا الإسلام فقد رفع الله عنه هذا الإصر، وكانت زوجةُ أخيه تنتظره، فغضبتْ عليه، وقالت: أصبحت تركياً؟ (وكان الهندوس يسمون المسلمين آنذاك أتراكاً) حتى دخلتَ المطبخ في نعليك، قد دنست الطعام.

ففعل فيه كلامُ المرأة ما لا تفعله الخطب المثيرة والمناظرات والمجادلات العلمية والدلائل البرهانية، وقال: إذا كنتِ ترمينني بالتركية فأنا تركي منذ الآن، وخرج من بيته توّاً، ودخل مسجدَ الزاوية حيث أشبعَ جسمه وروحه، ودخلَ الدينَ الحق، وسُمِّي سراجُ الدين[1].

والده:

كان لجده أربعةُ بنين: حبيب الله، ومجيب الله، وعجيب الله،

---

(١) انظر: إقبال أحمد سهيل: سيرة شبلي، مجلة الإصلاح عدد نوفمبر ١٩٣٦م، ص ٥١ ـ ٥٢.

ونجيب الله، وأبوه هو الشيخ حبيب الله، الذي تعلّم المقررات الدراسية البدائية، وبرع في اللغة الفارسية، يتقنها ويتذوّقها، وكان يحتلّ مكانةً مرموقة بين الناس، مع اتصافه بالكفاءة العلمية والكرامة والأخلاق والعزة الدنيوية والقبول بين الناس، وكان ذا ثروةٍ ومالٍ، ومتحلّياً بالورع والتقوى والصلاح.

والدته:

كانت أمه تنتسب إلى بيت من بيوت الأنصار، امرأة صالحة متدينة، تقوم الليل، وكان شبلي يثني عليها، ويشيدُ بذكرها، وكان يقول: إنّما تعودت على النهوض مبكراً لحسن تربيتها، واستأثرتْ بها رحمة الله قبل سنة ١٨٨٦م.

مولده:

ولد العلامة (شبلي النعماني) في التاسع من شوال سنة ١٢٧٣ هـ، الموافق للثاني من شهر يونيو ـ حزيران سنة ١٨٥٧م[1]، وصادف ميلادُه

---

(١) يذكر السيد سليمان الندوي مولده في شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٤هـ الموافق لشهر مايو ـ أيار سنة ١٨٥٧م (حياة شبلي، ص ٦٨)، ويقول الأستاذ ضياء الدين الإصلاحي مدير مجمع دار المصنفين: «قد تحقق الآن أنَّ العلاّمة ولد في الثاني من يونيو ـ حزيران (مجلة «معارف»، عدد يونيو ١٩٩٧م)، قلتُ: لا خلافَ في أنه ولد سنة ١٨٥٧م في الثورة الهندية الكبرى، فإن كان شهر =

الثورةَ الهندية الكبرى التي قادها المسلمون ضد استيلاءِ الإنكليز على الهند الإسلامية.

سماه أبواه محمد شبلي، وكان العلاَّمة كذلك يسمّي نفسه محمد شبلي، ثم اقتصر على (شبلي) وأضاف إلى اسمه (النعماني) نسبة إلى مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الإمام رحمه الله تعالى، وأخطأ من ظنّ أن نسبه ينتهي إلى الإمام أبي حنيفة.

طفولتُه:

عاش طفولته في نعمة ورفاهية وهناء، وكان مطبوعاً على الذكاء والذاكرة القوية، وكان يتذكر كثيراً من قصص طفولته ويحكيها، ذكر مرة أنّـه كان مضطجعاً في فناء بيته وهو صغير في ليلة مقمرةٍ، فحاولوا أن يحملوه إلى المظلة ولكنه امتنع، فقال بعضهم: انهض وأسرع فالسماءُ تمطر، فقال: كيف تمطر والقمر طالع، فضحكوا، وعجبوا منه[1].

* * *

= مولده اليوم الثاني من شهر يونيو ـ حزيران كما رجّحه الأستاذ الإصلاحي، فإنه يوافق إذاً التاسع من شوال سنة ١٢٧٣هـ، والله أعلم بالصواب.

(١) حياة شبلي، ص٧٠.

الفصل الثاني

تكوينه العلمي والتربوي

توفّر له من أسباب التحصيل العلمي ما لم يتهيأ لكثير من معاصريه، فقد ظفر - إلى جانب نبوغه الطبيعي واستعداداته الفطرية ومناخ بيته العلمي الصالح - بشيوخ أكفاء في كلٍّ صنف من أصناف العلم.

طلبه للعلم في قريته:

نشأ في بيئة علمية واعية تحت كنف والده الشيخ حبيب الله، وكان شبلي بكر أولاد أبيه، ولم يكن أبوه إلى ذلك الوقت قد اطلع على التيار الثقافي الجديد والحضارة الغربية الحديثة، فوقفه على اكتساب العلوم والمعارف الدينية، فتعلّم قراءة القرآن الكريم ومبادئ اللغة الفارسية في قريته على الطبيب (عبد الله)[1] المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، ثم قرأ على

(١) هو الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد الله الجيراج بوري الأعظمكرهي أحد الأفاضل المشهورين، ولد ونشأ بجيراج بور، وسافر إلى جونبور، فقرأ الكتب الدراسية على المفتي يوسف بن محمد أصغر اللكنوي، وعلى غيره من =

المولوي (شكر الله)[1] المتوفى سنة ١٣١٥هـ.

نبوغه الطبيعي:

كان مطبوعاً على الذكاء النادر، والنبوغ والفضل، وحب العلم والأدب، وكان الذوق الأدبي متوافراً فيه منذ الطفولة، إذا رأى منظومةً رائعةً أكبَّ على دراستها، ولم يتمالك نفسه، واهتزّ وطرب لشعرٍ بديعٍ استمع إليه، وكان يقضي أوقاتاً طويلةً في مكتبة تجارية في طفولته يقلّبُ أوراقَ الكتب، ويتصفّح دواوينَ الشعراء، وكانت الأبياتُ الرائعةُ تعلقُ بذهنه.

طلبه ورحلته:

قرأ بعض الكتب باللغة العربية على الشيخ (فيض الله)[2] الذي كان

= العلماء، ثم سافر إلى دهلي، وأخذ الحديث عن السيد نذير حسين المحدث الدهلوي، وأخذ الطب عن محمود بن الصادق الشريفي، ثم رجع إلى بلاده، وعكف على الدرس والإفادة. انظر: (نزهة الخواطر): ٨/ ٢٨٩.

(١) هو الشيخ الفاضل شكر الله السبرحدي الأعظمكرهي أحد العلماء المشهورين، ولد في سنة ١٢٤٣هـ بسبرحد قرية من أعمال جونبور، وقرأ العلم على المفتي يوسف بن أصغر الأنصاري اللكنوي، وعلى غيره من العلماء، وصرف عمره في الدرس والإفادة. انظر (نزهة الخواطر): ٨/ ١٧٨ـ ١٧٩.

(٢) هو الشيخ الفاضل فيض الله الموي الأعظمكرهي، أحد العلماء المتمكنين من =

قد عُيِّنَ مدرساً أعلى في (مدرسة العلوم العربية) بأعظم كره، وتتلمذ على العلامة (علي عباس الجرياكوتي)[1] (ت١٣٠٢هـ)، وكان أحد المنطقيين الكبار والمناظرين المعروفين، وشاعراً أديباً باللغة العربية، وعلى الشيخ (هداية الله خان الرامبوري)[2] في المدرسة الحنفية بجونفور لمدة قصيرة.

= الدرس والإفادة، لازم الشيخ سخاوة علي العمري الجونبوري، قرأ عليه الكتب الدرسية، وبرز في المعقول والمنقول، وأخذ الطريقة عن السيد أحمد ابن محمد ياسين الحسني النصير آبادي، وكان على قدم شيوخه في اتباع السنة السنية، واقتفاء آثار السلف، توفي سنة ست وثلاثمئة وألف. (نزهة الخواطر): ٨/ ٣٦٩.

(١) هو الشيخ الفاضل علي عباس بن إمام علي بن غلام حسين العباسي الجرياكوتي، أحد الأدباء المشهورين، ولد بجرياكوت، واشتغل بالعلم على عمه أحمد علي الجرياكوتي، والشيخ المعمر أبي الحسن المنطقي، وكان مفرط الذكاء، عجباً في سرعة الحفظ، قلّما يدخل في باب من أبواب العلم إلا وهو يتمكن منه، ويفحم كبار العلماء في مسائلها، وله شعر قوي بالعربية، وعدة تآليف، توفي سنة اثنتين وثلاثمئة وألف بجرياكوت. انظر (نزهة الخواطر): ٨/ ٣٣٠ـ٣٣١.

(٢) هو الشيخ الفاضل الكبير هداية الله بن رفيع الله الحنفي الرامبوري، أحد العلماء المشهورين، ولد ونشأ برامبور، وقرأ العلم على العلامة فضل حق الخير آبادي، والصحاح الستة على السيد عالم علي الحسيني، ثم ولي التدريس بالمدرسة الإمامية الحنفية ببلدة جونبور، أخذ عنه خلق كثير من العلماء، وانتهت إليه رئاسة المنطق والحكمة، مات في غرة رمضان سنة ست وعشرين وثلاثمئة وألف ببلدة جونبور. انظر (نزهة الخواطر): ٨/ ٥٢٠.

ولكن الشيخ الذي يدينُ له شبلي في تكوينه العلمي هو الشيخ المربي الأستاذ مولانا (محمد فاروق الجرياكوتي)[١]، الذي كان يدرّس في مدرسة (جمشه رحمت) في غازيبور فأرسله أبوه إليه ليستفيد منه.

كان العلامة شبلي طالباً مطبوعاً على الذكاء النادر والفهم القوي، كما كان الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي إماماً ماهراً في العلوم، حلّالاً للمشكلات، وكشّافاً للمعضلات، معروفاً بتبحره في العلوم، واضطلاعه من الفنون، ومنهجُه التدريسي البديعُ، يتوافد إليه الطلابُ من كلٍّ ناحية، ينهلون من علمه، ويقتبسون من حصافة عقله، ويتعلمون منه تحقيق المسائل، ويَسْتَجْلون منه غوامض العويصات، فصحبه شبلي ولازمه، وقرأ عليه الكتب الأدبية والعقلية، واستفاد منه في الشعر والأدب والاستدلال العقلي، وأحكم على يديه قواعد اللغتين العربية والفارسية، وأتقن أساليبهما إتقاناً.

---

(١) هو الشيخ الفاضل العلامة محمد فاروق بن علي أكبر العباسي الجرياكوتي أحد الأفاضل المشهورين في الهند، ولد ونشأ بجرياكوت، وأخذ عن صنوه الأكبر عناية رسول، والشيخ المعمر أبي الحسن المنطقي، والشيخ رحمة الله اللكنوي، والمفتي يوسف بن محمد أصغر اللكنوي، وسافر إلى الحجاز، فحج وزار، ثم درس وأفاد في بلاد كثيرة، وفي آخر عمره ولي التدريس بدار العلوم لندوة العلماء، له رسائل عديدة، وله شعر رائق باللغتين الفارسية والعربية، مات لثلاث عشرة خلت من شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمئة وألف. انظر (نزهة الخواطر): ٨/ ٤٥٢ـ ٤٥٢.

يقول شبلي: «قرأتُ عليه جميعَ المقررات من كتب الفلسفة والمنطق ككتب (المير زاهد) و(الملا جلال) و(حمد الله) و(شرح المطالع) و(الشمس البازغة) وأنا مدينٌ لإفادته، وتذوقي للفارسية من فيضه»[1].

ولم تمض مدةٌ يسيرةٌ من الزمن حتى طلع العلامة شبلي النعماني نجماً متلألئاً، ومفخرةً عظيمةً من مفاخر أستاذه الجليل، كان الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي يقول له: أنا أسد وأنت شبلي[2].

ركز الشيخ اهتمامه الكبير على تعليم الفلسفة، وبذل العلامة شبلي جهده المستطاع في طلب هذا العلم، يكتب في إحدى رسائله: «درستُ الفلسفة بعناية بالغة، واجتهاد كبيرٍ، ودقةٍ عظيمة، وظللتُ مقبلاً عليها مشغوفاً بها مدة طويلة»[3].

يقول العلامة الشريف عبد الحي الحسني: «قرأ أياماً في العربية على مولانا فاروق بن علي العباسي الجرياكوتي، ثم أقبل إلى المنطق والحكمة، وأخذ عنه وبرز فيه، ولازمه مدة طويلة»[4].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص٧٦.

(٣) مكاتيب شبلي: ١/ ٢٣.

(٤) السيد عبد الحي الحسني (نزهة الخواطر): ٨/ ١٧٤.

أتمَّ دراسته على أستاذه الشهير مولانا (فاروق الجرياكوتي)، ثم حمله الحنين إلى العلم والشغف به على أن ينهل من منابع العلم المنتشرة في أرجاء الهند، حتى يوسّعَ مداركه، ويعمق نظره وفكره، وأن يرحل إلى أساتذة الأدب والفقه والحديث، الذين ذاع صيتهم، وعرفوا كمراكز علمية تُشَدُّ إليها الرحال، وكان من بين هؤلاء العلماء الأجلاء والأعلام الأفذاذ الشيخ الإمام (عبد الحي الفرنكي محلي) المحدّث الكبير في لكنؤ[١]، والشيخ (أحمد علي) المحدّث في سهارنبور[٢]، والشيخ الإمام (قاسم النانوتوي)[٣] في ديوبند.

---

(١) هو الشيخ الإمام عبد الحي بن عبد الحليم الأنصاري الفرنكي محلي (١٢٦٤ ـ ١٣٠٤هـ)، جمع بين الحديث والفقه والعلوم، وله مؤلفات كثيرة نافعة، وهو أحد الأفراد القلائل الذين تفتخر بهم الهند، وقد أثبت شيخنا الإمام عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى تراجم واسعة له في مقدمة(الرفع والتكميل) و(الأجوبة الفاضلة) و (تحفة الأخيار)، فليراجعها من أراد التوسع في معرفة أخباره. كما أفرد الأستاذ تقي الدين الندوي ترجمته في كتاب صدر ضمن سلسلة (أعلام المسلمين) هذه.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) هو الشيخ الإمام العالم الكبير قاسم بن أسد الصديقي النانوتوي، أحد العلماء الربانيين، ولد بنانوته سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف، وأخذ عن الشيخ مملوك علي النانوتوي، والشيخ عبد الغني الدهلوي، وأخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله العمري، وهو أحد من نصر الله به الدين في القرن الثالث عشر=

اجتبذه أولاً صيتُ الإمام اللكنوي مولانا عبد الحي الفرنكي محلي إلى لكنؤ، ولكن لم يعجبه منهجه التقليدي في التدريس، لما طبع عليه العلامة شبلي من النقد الفكري والاجتهاد النظري، فتوجّه إلى رامبور، وتتلمذَ على العالم الثبت الفقيه الأصولي (إرشاد حسين المجددي)[1] ودرس عليه الفقه وأصولـه، ومكث لديه سـنة، ثم سافر إلى ديوبند، وتعلم بها الفرائض، واستفاد من مكتبتها العلمية، ولا تزال بعضُ الكتبِ فيها مكتوباً عليها اسمه بخطه.

كان الشيخ العلامة (فيض الحسن السهارنبوري)[2] الأستاذ بكلية

= الهجري، وحج وزار، وله مشاهد عظيمة في المناظرة مع النصارى والهندوس الآريين، وهو الذي أسس دار العلوم بديوبند، وله مؤلفات، توفي سنة سبع وتسعين ومئتين وألف بديوبند. انظر (نزهة الخواطر): ٧/ ٣٩١ـ٣٩٣.

(١) هو الشيخ العالم الفقيه إرشاد حسين بن أحمد حسين العمري المجددي الرامبوري، كان من سلالة الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، ولد ونشأ ببلدة رامبور، وأخذ عن الملا نواب بن سعد الله الأفغاني، والشيخ أحمد سـعيد بن أبي سـعيد المجددي، وعكف على الدرس والإفـادة والإرشـاد، وانتهت إليه الفتيا ورئاسة المذهب الحنفي برامبور، توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمئة وألف برامبور. انظر (نزهة الخواطر): ٨/ ٤٩ـ٥٠.

(٢) هـو الشـيخ العالم الكبير العلامـة فيض الحسـن ين علي بخـش القرشي السهارنبوري، وكان من أعاجيب الـزمان ذكاءً وفطنةً وعلماً، لم يكـن في عصره أعلم منه بالنحو واللغة والشعر وأيام العرب، أخذ عن والده، والعلامة=

العلوم الشرقية في لاهور قد بلغ في الأدب العربي ذِروةً عالية، وقمةً سامقةً، لم تنجب أرضُ الهند مثله منذ عدة قرون، فأراد العلامة شبلي أن يرحلَ إليه، ويرتوي من نميره العذب الفياض، وشمّر عن ساعد الجد للسفر إلى البنجاب، ولم يوافق أبوه على هذه الرحلة أول الأمر، ولكن عزيمته أحرزت الانتصار، وخرج ببضاعة مزجاة، وأقام بلاهور محتملاً المشاق والمصاعب في سبيل العلم.

كان الشيخ فيض الحسن أستاذاً موظفاً في الكلية الشرقية بلاهور، وكان التدريس الوظيفي يستغرق معظم أوقاته، وأما بقية أوقاته فقد كان يدرُسُ فيها عليه الطلابُ الوافدون من مختلف نواحي الهند، فكانت أوقاتُه كلُّها مشغولةٌ، ولكنَّ الأستاذ ـ نظراً إلى شوق شبلي الكبير وشغفه الزائد بالعلم ـ لم يستطع أن يرفضَ طلبه ويحرمه، فأمره أن يرافقه من بيته إلى الكلية، ويدرس عليه كتبَ الأدب والشعر طول الطريق.

واستمرت الدراسة على هذا المنوال حتى جاء وقتُ الإجازة،

= فضل حق الخير آبادي، والشيخ أحمد سعيد الدهلوي، وصرف عمره في الدرس والإفادة، وولي التدريس في آخر عمره في الكلية الشرقية بلاهور، وانتهت إليه رئاسة الفنون الأدبية، له مصنفات جليلة، وديوان شعر، وشرح ديوان الحماسـة، توفي سنة أربع وثلاثمئة وألف. انظر (نزهة الخواطر): ٨/ ٣٦٦ـ٣٦٩.

فأراد مولانا السهارنبوري أن يقضي إجازة شهرين في وطنه بسهارنبور، ورغب شبلي كذلك في مرافقته حتى يواصلَ الدراسة، وتركت فيه صحبتُه لمولانا فيض الحسن آثاراً كبيرةً، بعيدةَ المدى، وأنشأت فيه ذوقاً أدبياً رفيعاً، ونمّت فيه ملكةً أدبيةً وشعريةً ونقديةً لم تتوافر في أحد من أقرانه.

كان أستاذه الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي مولعاً بالابتكار والإبداع، والتفلسف والتدقيق، فكان يقدّم المتأخرين من الشعراء وعلى رأسهم (أبي الطيب المتنبي) على شعراء الجاهلية، وكان العلامة شبلي يذهب هذا المذهب، ولكنّ رحلتَه إلى لاهور أحدثت انقلاباً في فكره، وتغييراً في اتجاهه، وتجاوبت نفسه مع الشعر العربي الجاهلي الصادق الواقعي، حتى حفظَ (ديوان الحماسة) وكان يتغنى بشعره إلى آخر أيام حياته، واطلع على كتاب (جمهرة أشعار العرب) عند مولانا فيض الحسن السهارنبوري، واستعار الكتاب منه، ثم أعطاه لمولانا محمد فاروق حتى يطالعه.

اختار الكتابة بالأسلوب العربي الطبيعي المترسّل بعد ما طالع كتب الجاحظ في كلية (عليكره).

ولكن مرافقته لمولانا فيض الحسن السهارنبوري هي التي بذرت فيه البذرة الأولى فقد كان من أكبر مزايا العلامة فيض الحسن السهارنبوري إدراكه للبيان القرآني المعجز وتذوقه، وكان يلقي على تلامذته دروسَ

القرآن الكريم باللغة الأردية وفقَ منهجه الخاص، المعتمد على الإشارة إلى الجوانب البيانية، وكان يطلعهم على نكات الفصاحة والبلاغة ودقائق البيان والإعجاز، فورث شبلي منه هذا الذوق، وظل هذا الذوق والاتجاه مسيطراً عليه طول حياته، وله خطاب مطبوع فيه إشارات إلى هذا المنهج الفريد، وألقى دروساً أمام بعض طلاب دار العلوم لندوة العلماء حول دقائق الإعجاز والبيان في القرآن الكريم.

استأثرت رحمة الله تعالى بمولانا فيض الحسن سنة ١٣٠٤هـ، فتلقى العلامة هذا النبأ المؤلم المفجع وهو يلقي محاضرةً في بعض الفصول في كلية (عليكره) الإسلامية ففاضت عيناه، وأشار إلى الطلاب أن يقوموا عنه، ثم كتب رثاءً باللغة الفارسية يفيض تفجعاً وألماً.

رحلته إلى المحدث مولانا أحمد علي السهارنبوري(١):

كان من العادة المتبعة في ذلك الوقت أن يُعنى الطلاب بالحديث

---

(١) هو الشيخ العالم الفقيه المحدث أحمد علي بن لطف الله الحنفي الماتريدي السهارنبوري، ولد ونشأ بمدينة سهارنبور، وأخذ عن الشيخ مملوك علي النانوتوي، والشيخ وجيه الدين السهارنبوري، والإمام إسحاق الدهلوي، وحج وزار، وكان عالماً صدوقاً أميناً ذا عناية تامة بالحديث، صرف عمره في تدريس الصحاح الست وتصحيحها، توفي سنة سبع وتسعين ومئتين وألف بمدينة سهارنبور. انظر (نزهة الخواطر): ٧/ ٤٣ـ ٤٤.

النبوي الشـريف وعلومه، بعد أن يتضلّعـوا بغيرها من العلوم والفنون والصناعات.

وطبقاً لهذا المنهج اهتمّ العلامة بطلب الحديث بعد أن تخرّج من العلوم والصناعات السائدة في زمنه، وكما أنّه اختار في كلٍّ علم وفنّ عالمه الفريد الفذّ المتخصص فيه، كذلـك قصد لطلب الحديث أشـهر المحدثين في عصره[1]، الشيخ المحقق اللامع، المحدّث المتقن، والفقيه الضليع (أحمد علي السهارنبوري) وكان يلقّبُ بإمام الحديث، ولم يكن في علماءِ الحنفية أعلمَ منه بالحديث، وكان له سماعٌ وإجازةٌ من الإمام محمد إسحاق الدهلوي[2]، ومن مآثره عدا تدريسه أنّه تتبع

(١) كتب العلامة شبلي النعماني إلى السيد محمد فاروق الشاه بوري رسالةً ذكر فيها طلبه للعلم، وعنايته بانتقاء الشيوخ، يقول: يرجعُ هيامي بالعلم إلى تربية والدي وبيتي، كانت أسرتي يعلو فيها صوت العلم، وكان الكبار كلهم مشغوفين بالعلم، كان طلبُ العلم في ذلك الوقت صعباً للغاية، كانت المسافات تقطع ركوباً على العربات، ومشياً على الأقدام، احتملتُ كلَّ ذلك عن طواعية، وخرجتُ مرتين سرّاً من دون استئذان والدي، ومما تفردتُ به أني سافرتُ لطلب الأدب، والمنطق، والحديث، وأصول الفقه مسافات بعيدة إلى أولئك العلماء الذين تفرّدوا بهذه العلوم في بلاد الهند، فارتحلتُ لطلب الحديث إلى العلامة المحدث (أحمد علي السهارنبوري)، ولطلب آداب اللغة العربية إلى العلامة (فيض الحسن السهارنبوري). (مجلة المعارف) عدد نوفمبر ١٩٢٣م.

(٢) وإجازته التي كتبها له الإمام محمد إسحاق الدهلوي هي: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى=

كتب الحديث وعلومه الخطية، ثم قام بطبعها بعد مقابلتها وتصحيحها،

= آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فيقول العبد الضعيف محمد إسحاق عفا الله عنه: إن الشيخ الناسك الحافظ أحمد علي السهارنبوري قد حصّل قراءة كتب الحديث وسمعها عندي في مكة المعظمة زادها الله شرفاً وتكريماً، بهذا التفصيل: إن الحافظ الموصوف قرأ طرفاً من (صحيح البخاري)، وطرفاً سمع بقراءة الغير علي، وكتاب (تيسير الأصول) و (الجامع) لأبي عيسى الترمذي و (شمائله) وكتاب (النسائي) و (ابن ماجه القزويني) و (الموطأ) للإمام محمد بن الحسن الشيباني، و (مسند أبي حنيفة) من رواية الحصفكي، و(العدة) لمحمد بن محمد الجزري صاحب (الحصن الحصين) قرأه علي من أولها إلى آخرها بلا مشاركة الغير في القراءة، وكتاب (الصحيح) لمسلم، و(سنن أبي داود) أيضاً أسندهما علي بتمامهما قراءة وسماعاً، و(مسند الدارمي) قرأ علي قدراً معتداً به، وشيئاً من (الجامع الصغير) للسيوطي، و(مشكاة المصابيح) و(الحصن الحصين) و(الحزب الأعظم) و(الورد الأفخم) لعلي القاري، وأيضاً سمع بقراءة الغير عليَّ (شرح النخبة في أصول الحديث)، وقرأ علي من التفاسير شيئاً من (المعالم) للبغوي، و(البيضاوي) و(الجلالين) و(جامع البيان) و(التفسير الرحماني)، وحصلت لي الإجازة والقراءة والسماع من الشيخ الأجل والحبر الأكمل الذي فاق بين الأقران بالتميز، أعني الشيخ عبد العزيز رحمه الله تعالى، وحصل له الإجازة والقراءة والسماع من والده الشيخ ولي الله بن الشيخ عبد الرحيم الدهلوي، وأسانيدُ أكثر الكتب موجودةً في تصانيفه، وقد أجزتُ الحافظ الناسك الشيخ أحمد علي قراءة الكتب المذكورة أن يشتغلَ بها، ويعلّم المستفيدين بالشروط المعتبرة عند أهل الحديث، والله المستعان، وعليه التكلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين». محمد إسحاق.

أخرج (جامع الإمام الترمذي) سنة ١٢٦٥هـ، و(صحيح الإمام البخاري) سنة ١٢٦٧هـ.

يقول العلامة شبلي النعماني: «إنّه قضى عشرين سنةً بكاملها في تصحيح(جامع البخاري) والتعليق عليه»[١]، وقد تتلمذ عليه معظمُ علماء الحنفية، وكان قد أوتي علماً جمّاً، وعملاً صالحاً، ورزقاً واسعاً، وكان متواضعاً تقياً صالحاً، توفي في سهارنبور في السابع من جمادى الأولى سنة ١٢٩٧هـ.

إكمال الدراسة:

كان المحدث الكبير الشيخ مولانا أحمد علي السهارنبوري المدرسة الأخيرة للعلامة شبلي النعماني، كان يقرأ عليه (سنن الإمام الترمذي) إذ نوى أبوه وبعضُ أقاربه الحجَّ إلى بيت الله الحرام، ونشأ في قلبه كذلك الشوقُ والحنينُ إلى هذه الرحلة الميمونة المباركة، فتأرجح بين غرامٍ بدراسة الحديث النبوي الشريف، وحنين إلى زيارة الموطن النبوي الشريف مهوى قلوب المؤمنين، فاستشار شيخَه أحمد علي فقال: تمكنك الدراسة والطلب متى أردت، لكنّ هذه الرحلة الميمونة لن تتهيأ دائماً، فعزم على الرحيل، وغادر سهارنبور إلى بلدة بومباي، وكان ابنَ تسعة عشر عاماً.

---

(١) حياة شبلي. ص٨٥.

تبلغ مدةُ دراسته نحو أربعة عشر عاماً، واصل الدراسة منذ سنة ١٢٧٩هـ الموافق لسنة ١٨٦٣م حتى سنة ١٢٩٣هـ الموافق لسنة ١٨٧٦م، وتمت دراستُه المنهجية هنا، وقد كملتْ فيه الملكات العلمية، يقول العلامة الشريف عبد الحي الحسني: «. . . وقرأ على الشيخ أحمد علي بن لطف الله الماتريدي السهارنبوري حتى فاق أقرانَه في الإنشاء والشعر والأدب والتاريخ، وكثير من العلوم والفنون»[١].

رحلته للحج:

سافر إلى الحجاز مع الركب الكريم من الحجيج بقلبٍ مليءٍ بالحب واليقين، وحنين إلى التشرف بزيارة الأمكنة الإسلامية الشهيرة والمشاهد النبوية والمراكز والمكتبات العلمية، وزارَ جميع المكتبات في المدينة المنورة. يقول: «لم أر في مكانٍ من كنوز الحديث الشريف وعلومه ما رأيته في المدينة المنورة»[٢].

إعجابه بأخلاق العرب:

وأُعْجِبَ خلال رحلته إعجاباً كبيراً بأخلاق العرب، وسخائهم، وكرمهم، وبساطتهم، وأنفتهم وفضائلهم، ويحكي قصة لجمّاله يقول

---

(١) السيد عبد الحي الحسني: (نزهة الخواطر): ٨/ ١٧٤.
(٢) حياة شبلي، ص٢٩.

فيها: «إذا قدمتُ طعاماً إلى جمّالي لم يتناوله وحده، بل قال: هلموا، ودعا مَنْ حوله من الأعراب، ثم وزعه بينهم، وأخّر نفسه».

ويقول شبلي: «أردتُ مرّةً أن أختبره، فقدمتُ إليه قطعة لحم صغيرة، فدعا رفقته وزملاءه، وقسمّها بينهم، فسألته: ما فائدة ذلك؟ إنّها قطعة لحم صغيرة، لا تكفيك وحدك، فلما قسمتها لم تستلذّ بها لا أنت ولا أصحابك، فأجاب بالرد الكريم الذي هو منبع كرم العرب وشرفهم وقال: يا شبلي، عار علينا نحن العرب أن نأكل وحدنا»[١].

قال مرة وهو يشرح الفرق بين لغة الكتابة ولغة الحديث: «كنتُ خلال إقامتي بالحجاز إذا نطقت باللغة العربية تقيدت بقواعدِ النحو والإعراب، فقال لي الجمال مرّةً: يا شبلي أنت نحوي، فظننتُ أنّه يمدحني ويشيد بعربيتي، ولكنّه انكشف لي فيما بعدُ أنّه إنّما عرّضَ بلهجتي وتكلُّفي بالعربية لا أنّه أشادَ بها»[٢].

* * *

(١) حياة شبلي، ص٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص٩٤.

الفصل الثالث

مجالات اختصاصه والعلوم التي برع فيها

النواحي العلمية والأدبية التي برع فيها العلامة شبلي النعماني وعُرِفَ فيها اختصاصات عديدةٌ ومتنوعةٌ، كان أقرانه من أهل عصره قد برزوا في مجال أو مجالين من العلم والأدب، ولكنّ شبلي ـ وإن كان أصغرَهم سناً وأقصرهم عمراً ـ برز في معظم مجالات العلم والأدب وبزّهم فيها وفاق، مع الجمع بين الإضلاع بالعلوم الدينية والاطلاع على المعارف الحديثة، ومن ثمَّ استحقَّ أن تجتمع الكلمةُ على تسميته بالمعلم الأول للعهد الجديد، وفيما يلي بيان أهم هذه النواحي:

اللغة العربية وآدابها:

تعلّم اللغة العربية وقواعدها من النحو والتصريف، والبلاغة والمعاني، وعُنيَ بدراسة الشعر العربي الجاهلي والإسلامي، وخُطبِ العرب ومنثورهم، وأُعجبَ بالجاحظ أيّما إعجاب.

أخذَ اللغة العربية وآدابها عن العلامة (محمد فاروق الجرياكوتي)،

والعلامة (فيض الحسن السهارنبوري) وهما ركنان عظيمان للغة العربية في الهند، كان الأول تغلب عليه الصناعة، فكان يفضل المتنبي على شعراء الجاهلية والإسلام، ولكنّ الثاني كان يمتاز بذوقه الأدبي الرفيع، وسليقته العربية الطبعية، فورثَ منه حُبَّه للشعر الجاهلي، و(ديوان الحماسة)، وقد قام شبلي بتدريس هذا الديوان للعديد من الطلاب[1].

وكان معظمُ علماء الهند لا يهمهم من كتب اللغة العربية إلا مقرراتهم الدراسية، فكان العلامة شبلي أول من عُنيَ بالصحف والمجلات العربية، وطُبعَتْ له مقالات في (الهلال) وغيرها من مجلّات مصر، وذكر في إحدى رسائله أسماء بعض المجلات التي كانت تصلُ إليه، وهي: (ثمرات الفنون) من القسطنطينية، و(السلام) من طرابلس، و(المؤيد) و(المنار) و(الهلال) و(المقتطف) من مصر[2].

وكان يرى أنَّ العرب في جاهليتهم وإسلامهم كانوا أصدق الناس في التعبير عن نفوسهم، وكان شعرُهم أبعدَ شيءٍ عن الكذب والمبالغة، ولم يكن شعبٌ من شعوبِ الأرض يبلغُ مستواهم في إدراك النكات البيانية، يقول: «كانت القبائل العربية قبلَ الإسلام جاهلةً بالعلوم والفنون في صورها المتحضّرة، ولكنَّ الأعراب كانت تسودهم روحٌ من

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٩٣ ـ ٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

الذوق الأدبي، كان الشعر والنثرُ جزءاً من طبيعتهم التي خُلِقوا عليها، لم يكونوا فصحاء طبيعيين مثل الببغاء والعندليب، بل كانوا مدركين للنكات الدقيقة للفصاحة والبلاغـة، تثبتُ مساجلاتُ سـوقِ عكاظ الشـعرية، ومناقشاتها وانتقاداتها، أنَّ العربَ حينما كانوا يقولون كانوا يعرفون كيف يقولون، ولِما يقولون.

قضت امرأةٌ من نسـائهم بين (امرئ القيـس) و(علقمة الفحل) في مسابقتهما الشعرية بحكم رائعٍ يعجَزُ عباقرة الكتابة والإنشاء اليوم أن يأتوا بنقدٍ أعدلَ وأروعَ منه[1].

وكان يراعي الفروق النحوية الدقيقة في خطاباته وكتاباته، وكلما وقفَ على خطأ لغوي من أصحابه وتلاميذه نبّه إليه. كتبَ مرةً إلى بعض تـلامذته: «يا للعجب، إنـكَ لا تفرق بين مـواضع (إذا) و(لمـا) في الاستعمال»[2].

وكان لدى العلامة نسخة خطية لكتاب (ديوان الصبابة) لابن أبي حجلة التلمساني الحنفي المتوفى سـنة ٧٧٦هـ جمع فيه أفضلَ ما قاله المحبون والمتيّمون العرب في النسيب والغزل، وهذه النسخة موجودةٌ الآن في مكتبة (دار المصنفين) وفي طيها رسالة للعلامة نقدّمها فيما يلي

---

(١) مقالات شبلي: ٣/ ٢.
(٢) مكاتيب شبلي: ٢/ ٢٠.

حتى يطلعَ القراءُ على أسلوبه في اللغة العربية في العهد الذي كان التصنع يغلِبُ على عامة الكتابات:

سلام عليكم:

هذا ديوان الصبابة يصل إليكم، وأما أنا فلا يمكنني حضور لديكم، لا لأني اشتغلتُ بأمور غير طائلة، وقعدتْ همتي، وصرفت عيون العناية إلى الدنيا الدنيئة، وبرئتْ من تحصيلِ كمال العلم والأدبِ ذمّتي، فإني بحمد الله خُلِقْتُ وكسب الفضل سيط من دمي، فهو لا يفارقني إن شاء الله تعالى في حالَتَيْ وجودي وعدمي، بل لأني لملازمتي العهدة الرذيلة أدوم أتفكر في حالتي، فيزيد همي، وتزداد ملالتي، وبيدكم الإنصاف، ما هذا إلا الجور والاعتساف، فصبرٌ جميل، وهو حسبي ونعم الوكيل[1].

الحديث وعلومه:

أخذَ الحديثَ من المحدّث المعروف الشيخ الإمام أحمد علي السهارنبوري أخذ إتقان، وقرأ عليه كتبَ الحديث قراءة تدبّرٍ وإمعان، وكان يقدّر قيمةَ كتب (المسانيد)[2]، كما عُنِي بدراسة رجال الحديث،

---

(١) حياة شبلي، ص١٠٩ ـ ١١١.

(٢) أشار على تلميذه السيد سليمان النّدوي أن يؤلفَ سيرةَ عائشة، ويستعين لها بكتب الحديث والمسانيد. انظر حياة شبلي، ص٤٥١.

وأصوله، وقواعد المحدثين في الجرح والتعديل، وكان مُعْجباً بمنهج المحدثين في الرواية والدراية، وانتفع به كثيراً، واستعمله في كتاباته التاريخية، وأخيراً في تأليف كتابه (سيرة النبي ﷺ).

واطَّلع خلال زيارتـه للمدينة المنورة على المخطوطـات النادرة للحديث الشريف في خزائنها، وكان رأى فيها نسخة من كتاب (التمهيد) لابن عبد البر[١].

وكان قد طالع في أسماء الرجال (تهذيب الكمال) للحافظ المزي، و(تهذيب التهذيب) و(لسان الميزان) و(تقريب التهذيب) للحافظ ابن حجر، و(التاريخ الكبير) للبخاري، و(التاريخ الصغير) له، و(الثقات) لابن حِبّان، و(تذكرة الحفاظ) للإمام الذهبي، و(مشتبه النسبة) له، و(الأنساب) للسمعاني، و(تهذيب الأسماء) للنووي، واستفاد منها في تأليف السيرة[٢].

وكـان يعرف للمحدثيـن فضلَهم في خدمـة هذا العلم، يقـول: «يعترفُ كلُّ مُنْصِفٍ أنَّ الجهدَ الذي بذله المسلمون والبحثَ الذي مارسوه في جمع أقـوال النبي ﷺ وأفعاله لا يـوجدُ له نظيرٌ في أمة من أمم العالم وشـعب من شـعوبه، وإن الذي وصل إليه المسـلمون هو الحد الأخيـر للتحقيق البشري»[٣].

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٩٢.

(٢) انظر: مقدمة سيرة النبي ﷺ: ١/ ٤١.

(٣) مقالات شبلي: ٣/ ٤.

كان يؤلمه أنّ المنهاج الدراسي القديم كان جُلُّ تركيزه على المنطق والفلسفة، والنحو والفقه، ومن أهم إصلاحاته في المنهاج الدراسي عنايتُـه بالحديث وعلومه، وأشـار على المسؤولين في كلية (عليكره) بإدخال مختار للأحاديث النبوية في مقرراتها للعلوم الدينية[1]، وقام شبلي نفسُه بتدريس (الجامع الصحيح) للإمام البخاري للصفوة من طلاب (دار العلوم) لندوة العلماء.

القرآن الكريم وتفسيره وعلومه:

كانت عنايتُه بالقرآن الكريم كبيرةً، ويتجلّى ذلك في دروسه التي كـان يلقيها على طلبـة كلية (عليكره) و(دار العلـوم) لندوة العلمـاء، ومحاضراتـه العلمية حول المواضيع القرآنيـة المختلفة من الإعجـاز والبيان.

كان ينتقدُ المنهاج الدراسي القديم لقلة عنايته بالقرآن الكريم وعلومه، يقول في بعض مقالاته:

«إنَّ حظَّ تعليم القرآن الكريم في المنهاج التعليمي القديم ضئيلٌ جداً، حتى إنَّ متن القرآن الكريم ليس داخلاً في مقرراته، ليس المقرر في التفسير إلا كتابان: (تفسير الجلالين) وهو موجزٌ غاية الإيجاز، يساوي

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٣٥٢.

عدد كلماته عدد كلمات القرآن الكريم، و(تفسير البيضاوي) الذي لا يدرس منه إلا جزءان ونصف من أجزائه الثلاثين»[1].

الفقه:

درس الفقه وأصوله بعناية تامة، وأخذها عن الإمام الفقيه الأصولي (إرشاد حسين الرامبوري) وكان قد درس مصادر الفقه الحنفي المتداولة في الهند، وكان يؤلمه أن يبقى كنزٌ كبيرٌ منها مغموراً، يقول: «ما أعجبَ الأمرَ، إنَّ الفقه الحنفي الذي يعتمِدُ على مؤلفات الإمام محمد بن الحسن الشيباني ورواياته، والتي تسمّى بظاهر الرواية، لا يوجدُ منها اليوم غير (الجامع الصغير) وهو أصغرها وأوجزها، حتى إنّ خزائن القسطنطينية ومصر الكبيرة معدمة منها»[2].

وكان من شدة اهتمامه بهذا العلم أن أقبل في بداية عمره على التأليف في الموضوعات الفقهية الخلافية، والمناظرات المذهبية، فمِمّا ألّفه فيها: (إسكات المعتدي) و(ظل الغمام في مسألة القراءة خلف الإمام) و(الجزية) و(حقوق الذميين)، وأحسن ما عالج فيه المواضيع الفقهية في أسلوب علمي كتابه (سيرة النعمان).

---

(١) مقالات شبلي: ٣/ ١٥٨.

(٢) حياة شبلي، ص٢٦٧.

علم الكلام:

لما نُقِلَتْ كتبُ الفلسفة اليونانية إلى اللغات العربية في الخلافة العباسية، ونشأتْ شبهاتٌ جديدةٌ، نهضَ لها علماء الإسلام، وردّوا عليها ردّاً علمياً مقنِعاً، وتكوّنَ (علم الكلام).

ولكن في العصر الحديث حينما غزت أوروبة البلدان الإسلامية، فتح علماؤها جبهات جديدةً من الغزو الفكري، وبدؤوا يشككون في المعتقدات الدينية، ويطعنون في الفقه الإسلامي والتاريخ الإسلامي والنواحي الأخرى من الثقافة الإسلامية، فمسّت الحاجةُ إلى تجديدِ علم الكلام.

فردَّ شبلي على المستشرقين مطاعنَهم، وألفَ كتباً نادرةً كشفت اللثام عن مكايد الأعداء، وبراءة الإسلام والمسلمين من التّهم والمطاعن التي وُجِّهت إليهم، وأعدَّ جيلاً من العلماء يواصلُ جهاده ونضاله في سبيل الدفاع عن الدين وعلومه وثقافته وتاريخه، وتقديمها في منهج علمي جاد، وأسلوب أدبي بليغ، يقول العلامة السيد سليمان الندوي:

«يحمِلُ عملُ العلامة شبلي أهميةً خاصةً من جهات شتى، فالمعترضون والطاعنون الذين نهض للردِّ عليهم لم يكونوا مبشرين جهلة، ولم يكن الأسلوب الجدليُّ أو المنهج الإلزامي لينفعَ معهم، كان الردُّ عليهم يقتضي أن يبحثَ عن الكتب النادرة من كلِّ ناحيةٍ وصوبٍ، ثم

يقلّبُ صفحاتها، ويعلّم على مواضع الخطأ والضعف في إحالاتهم، ثم تقدّمُ لأهل العصر الروائع والمآثر من العلوم والفنون الإسلامية، والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، حتى تتجلّى للعيان المكانة التاريخية والحضارية، والأبهة العلمية للإسلام، فتنبعث الحياة والروح في القلوب الميتة للأمة الإسلامية، ويدركُ الأعداءُ مدى ضعف مطاعنهم، وانهيار مبانيها.

لو انتهى هدفُ العلامة شبلي إلى هذا الحد لكان الأمرُ سهلاً، ولكنّه تعدّاه وهدف إلى أن يعدّ في حياته ويخلّف بعد موته جماعـةً من العلماء تفي بهذه الحاجة الجديدة للإسلام في هذا العهد الحديث»[١].

التاريخ:

يقول محمود الشـيراني: «وضع العلامة شـبلي الحجرَ الأساس للكتابات التاريخية في عهدٍ انمحى فيه من قلوبنا الشوقُ إلى علم التاريخ، كانت اللغة الأردية فقيرةً معدمةً من الكتب التاريخية، وكان ذوقُ البلادِ في تدهورٍ مستمر، فقام قلمُه في هذا العهد المتّسم بالجمودِ بخدمةٍ قيمةٍ كبيرةٍ لبعث هذا العلم من جديد تدوم ذكراها طوال القرون»[٢].

---

(١) حياة شبلي، ص١٧ ـ ١٨.

(٢) مقالات محمود الشيراني: ٥/ ٣.

يقول الأستاذ مهدي إفادي: «لا يسبقُ شبلي أحدٌ في الهند، بل في العالم الإسلامي بأسره في مجال التاريخ»[١].

ويقول مهدي: «الصواب أنَّ اسمَ شبلي يُقْرَنُ اليوم بكبار المؤرخين الأوروبيين في الشمول والدقة، وسعة النظر، والتدقيق التاريخي، والنبوغ الفني»[٢].

ويقول محمود الشيراني: «يمكن أن تقدِّر سَعَةَ علمه في مجال التاريخ بتآليفه العديدة والمتنوعة، التي تعتبر من خيار وصفوة كتب الأدب الأردي»[٣].

ويقول رام بابو سكسينه: «من أكبر مآثر شبلي التي تذكَرُ له أنّه جدّدَ ذكر المفاخر الرائعة الماضية للإسلام، وأعاد بناء التاريخ الإسلامي على أساسٍ جديدٍ، وقام بدراسة عميقة، وبحث دقيق حولَ الموضوع، واتّبع المنهج العلمي الحديث لنقد المواد التاريخية»[٤].

وكان شبلي يرى العرب يفوقون غيرهم من الشعوب والأمم في

---

(١) إفادات مهدي، ص٢١١.
(٢) إفادات مهدي، ص٢١١.
(٣) مقالات محمود الشيراني: ٥/ ٣.
(٤) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٩٢.

مجال التاريخ، فإنَّ العرب عرفوا التاريخ، وحفظوا أيامهم وأنسابهم وأشعارهم قبل بداية عهد الحضارة والمدنية، يقول شبلي:

«كان ذكر الأنساب شائعاً بين العرب، حتى إنّ أطفالهم كانوا يحفظون أسماء آبائهم وأجدادهم وأقاربهم الماضين إلى عشرات من القرون، بل وكان العرب يعنون بحفظ أنساب أفراسهم وإبلهم، وأما أيام العرب فقد كانت سوق عكاظ وسيلة لنقل مآثرهم ومفاخرهم إلى الألوف بل ومئات الألوف من الناس، وكان شعرُهم في غايةٍ من العلوِّ، حتى إنّ رعاة الإبل الجاهلين بالقراءة والكتابة كانوا يعتزّون بشعرهم وبيانهم، ويستصغرون غيرَهم من شعوب العالم، وإنّ ما امتازوا به من التصوير الدقيق والوصف الصادق لا تصلُ إليه أمةٌ من أمم العالم»[1].

ويرى شبلي أنَّ ذوقَ العرب هذا هو الذي قادهم في الإسلام إلى حفظ سنن النبي ﷺ، وسيره، وأخلاقه، وشمائله، ومغازيه، وتاريخ الإسلام، ولا يقاربُهم في ذلك شعب من الشعوب»[2].

المناظرة:

الجهد الذي بذله العلامة محمد فاروق الجرياكوتي في سبيل

---

(١) الفاروق، ص٣.

(٢) انظر: مقدمة سيرة النبي ﷺ، ص٢٦.

تدريس المنطق على المنهج التطبيقي كان من تأثيره أن أصبحَ العلامة شبلي ولوعاً بمراعاة النظام العقلي والاستدلال المنطقي ومبادئ المناظرة وأصولها، يضعُها بين يديه في كتاباته وخطبه ومحادثاته، وكان معروفاً بهذه الميزة بين الطلاب، فإذا وصل إلى مجلس من مجالس الطلاب ناقشوه حول موضوع من المواضيع أو مسألة من المسائل، وكان هذا منهجاً سائداً في ذلك الزمان، يجتمع الطلاب، ويعقدون بينهم المناقشات والمباحثات العلمية، ومن فائدة ذلك أنَّ الطلاب الأذكياء كانوا يزيدون بها تدريبهم العملي والتطبيقي وحفظ المسائل عن ظهر القلب، وكانت هذه المناقشات والمسابقات تحمل الطلّابَ على دراسة شروح الكتب وتعليقاتها والمحاورات العلمية.

قضى بضعة أعوام من عمره بعد إكمال دراسته في الدفاع عن المذهب الحنفي، وقام ببعض المناظرات مع المعارضين للتقليد، وكتبَ الرسائل والمقالات في الرد على مذهبهم، وألف (ظلّ الغمام في مسألة قراءة الفاتحة خلف الإمام) باللغة الأردية الفصحى في أربعين صفحة، طبع في كانبور سنة ١٢٩٢هـ، وألف رسالة بالعربية في أربع وعشرين صفحة أسماها (إسكات المعتدي على إنصات المقتدي)، ونالت هذه الرسالة قبولاً كبيراً، واخترقت حدود الهند إلى مصر والشام وتركية، ولما زار بلدان العالم الإسلامي سنة ١٣٠٩هـ أكرمه علماؤها وأجلوه من أجل تأليفه هذه الرسالة، وكان قد كتبها بلغة فصيحة قوية متينة.

ولكن لم يمضِ زمنٌ قليلٌ حتى وجّه كفاءته في المناظرة نحو الدفاع عن الإسلام وثقافته وتاريخه وحضارته.

ردّه على المستشرقين:

يقوم تجديده لعلم الكلام على دراسة كتابات المستشرقين دراسةً واعيةً، ثم الردّ على شبهاتهم وتضليلاتهم ردّاً علميّاً مقنعاً، وكان اطلاعُه على مؤلفات المستشرقين واسعاً وعميقاً، وتشهدُ قائمةُ المؤلفات الغربية حول سيرة النبي ﷺ التي قدّمها شبلي في مقدمة كتابه (سيرة النبي ﷺ) باطلاعه الدقيق على كتابات المستشرقين.

قسّم شبلي المستشرقين إلى ثلاث طوائف:

١ ـ طائفة جاهلة باللغة العربية والمصادر الأصيلة، تعتمدُ في كتاباتها عن الإسلام على التراجم، والمصادر الغربية، واستنتاجاتها الناشئة من الأهواء والأقيسة الفاسدة.

٢ ـ طائفة خبيرة باللغة العربية، وآدابها، وتاريخ الإسلام وأفكاره، مع جهل بالكتابات الدينية، ومصادر السيرة النبوية، فتتجرأُ على الإسلام ونبيه بما يبعَثُ على العجب، كـ(سخاو) و(نولديكه) من ألمانية.

٣ ـ طائفة درست الكتابات الدينية في الإسلام، ولكنّها تتعامى عن الصدق جهلاً وعصبيةً، وتتبع المبشرين المسيحيين في تشويه سمعة

الإسلام واتهامه بما هو بريء منه، كـ(بامر) و(مرغليوث)[1].

الجمع بين القديم والحديث:

أخذ اللغتين الفارسية والعربية وآدابهما وعلوم الإسلام من أئمتها في الهند، فبرعَ فيهما، وفاق أقرانه، ثم لما عُيّنَ أستاذاً في كلية (عليكره) احتكَّ بـأركان الفكر الأوروبي والثقافـة الحديثة، ودرس كتـب علماء أوروبة، فحصلت له معرفة بالفلسفة والمعارف الحديثة، وجمعَ بين القديم والجديد في اعتدالٍ واتّزانٍ، من دون تزمُّتٍ ولا انبهارٍ ببريق الحضارة الحديثة، وكانَ نقطةَ بدايةٍ لعهد جديد في تاريخ الهند العلمي والثقافي، ولُقِّبَ بالمعلّم الأول للعهد الحديث.

يقول العالم الأمير (حبيب الرحمن خان الشرواني)[2]: «كان

---

(١) انظر: مقدمة سيرة النبي ﷺ، ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) هو الشيخ الفاضل الأمير حبيب الرحمن بن محمد تقي الشرواني الحنفي، أحد العلماء والأدباء المشهورين، وأحد المؤسسين لندوة العلماء، ذو الرئاستين، ولد سنة ١٢٨٣هـ بقرية بيكن بور من أعمال عليكره، ونشأ بها في رفاهية من العيش، أخذ عن المولوي عبد الغني القائم كنجي، والمفتي لطف الله الكوئلي، والشيخ المحدّث حسين بن محسن الأنصاري، له مكارم وفضائل، واشتغال بالعلوم والعبادات، والقيام بوظائف الطاعات، وقضاء حوائج المحتاجين، والسعي في صلاح المسلمين، وكان له إسهامٌ برزَ في تطوير حركة ندوة العلماء، وله كتبٌ، توفيّ سنة سبعين وثلاثمئة وألف. انظر: (نزهة الخواطر): ٨/ ١٠١ ـ ١٠٥.

العلامة شبلي مجمعاً بين المجتَمَعَيْنِ القديم والجديد»[1].

ويقول رام بابو سكسينه: «جمع في نفسه بين علم الشرق وثقافة الغرب»[2].

فلسفة التعليم:

من أهم مآثر العلامة شبلي النعماني عنايتُه بجانب التعليم، وإصلاح المنهاج التعليمي، والمقرّرات الدراسية، فكان يحزنه ما آل إليه وضع المدارس الإسلامية في الهند، فلما زار البلدان الإسلامية القسطنطينية، والقاهرة، وبيروت آلمه أنَّ الوضع التعليمي لا يختلفُ فيها عن الهند.

يقول في رحلته عن الجامع الأزهر: «لم أتأكد من شقاء المسلمين في رحلتي هذه بشيء مثلما تأكدت منه بالجامع الأزهر، فهذا المركز العلمي الكبير الذي يقصده الطلاب المسلمون من كل صوب، وتتجاوز نفقاتُه السنوية ثلاثمئة ألف روبية، ويزيدُ عدد طلابه على اثني عشر ألفاً كان معقدَ آمالٍ كبيرة، ولكنّه وللأسف الشديد قد أضاع مئات الألوف من المسلمين، وإنَّ منهجه التربوي يميتُ الطموح وعلوَّ النظر، والحماسة

---

(١) مجلة (الأديب) العدد الخاص بشبلي، ص٢٠.
(٢) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٩٤.

والعزيمة، وجميع النعوت الحميدة، والصفات البشرية، لقد رأيتُ هنا طلاباً يتمتع أقاربهم بمناصب ووظائف كبيرة، ويتكفَّلون بنفقاتهم، ولكنَّهم لا يستحيون من التسول في الأسواق وسؤال الناس قِطعَ الخبز، هل يُرْجى من هؤلاء أن يزيدوا الإسلام عظمةً وشوكةً؟! وأكبر ما يتأسف عليه من منهاج الأزهر التعليمي، تركيز العناية كلِّها على تعليم النحو والفقه، وعيّنت لهما ثماني سنوات، لاحظَّ للمنطق والفلسفة والحساب والعلوم العقلية في مقرراته، يدرس هنا أصول الفقه والتفسير والحديث والمعاني والبيان، ولكنَّ حظها ضئيل جداً، لايليق بمثل هذه الدار للعلم، تركز على النحو والفقه، ولكنَّ تعليمهما فارغٌ من منهج التحقيق والاجتهاد، إنّما يردد الطلاب شروحَ الكافية وتعليقاتها وحواشيها، ومن آثارِ هذا المنهج البالي أنّ الأزهرَ لم ينتج كاتباً أو مؤلفاً أو عالماً كبيراً منذ مدة طويلة، ومن المؤسف أن ليس للتعليم نظام، فليس هنا تقسيم الصفوف والمراحل، ولا منهاج، ولا امتحان، ولا اهتمام لهم بإصلاح هذا النظام(١).

لما بدأت حركةُ إصلاحِ الجامع الأزهر سنة ١٨٩٩م، اقترحَ لها العلامة (رشيد رضا) في عدد ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٧هـ من (مجلة المنار) أسماء ثلاثة من أعلام العالم الإسلامي: (الشيخ أحمد جان

---

(١) رحلة شبلي، تعريب وتلخيص محمد أكرم الندوي، مجلة ثقافة الهند، العدد ١، المجلد ٤٣ لعام ١٩٩٢م، ص٢٧ـ٢٨.

الروسي) و(الشيخ أحمد الشنقيطي المغربي) و(الشيخ شبلي النعماني الهندي)[1].

كان شبلي يرى أن يجمع المنهاجُ التعليميُّ بين العلوم الإسلامية الأصيلة، والعلوم الحديثة، كتبَ مرةً: «قد قلنا مراراً، ونؤكد مرةً أخرى: إننا نحن المسلمين لا يكفينا تعليم المدارس الإنكليزية ولا تعليم المدارس العربية القديمة، إنَّ البلسم الشافي لدائنا مركّب من جزأين شرقي وغربي»[2].

إتقانه اللغة الفارسية:

درس اللغة الفارسية في بداية طلبه، وأتقنها إتقاناً كبيراً، وبرز في الكتابة بها نثراً وشعراً، حتى عُدَّ خاتمةَ شعراء اللغة الفارسية في الهند، وأكبُر ما يدل على تضلّعه بهذه اللغة شعره القوي باللغة الفارسية، وتأليفُه كتاب (شعر العجم) في خمسة أجزاء، وهو كتابٌ يَرْجِعُ إليه الفضل في نشر تذوق اللغة الفارسية في الهند، فلما طُبعَ عَظُمَ إقبالُ الناس عليه، وسارت به الركبان.

مكانته في اللغة الأردية وآدابها:

أجمع المؤرخون النقاد أن اللغة الأردية تنهضُ على خمسة

---

(١) انظر حياة شبلي، ص١٩.
(٢) مقالات شبلي: ٣/ ١٦١.

أركان: السيد أحمد خان الدهلوي، ومحمد حسين آزاد، ونذير أحمد، وألطاف حسين حالي، والعلامة شبلي النعماني، وهو أصغرُهم سناً، كما أجمعوا على أنّ شبلي النعماني هو الذي تدينُ له اللغة الأردية في الكتابات العلمية الأدبية، واختلفوا في تفضيل بعضهم على بعض من ناحية الأسلوب الأدبي، يقول الأستاذ ضياء الدين الإصلاحي: «كان العلامة شبلي النعماني عالماً فذّاً، أديباً كبيراً منشئاً في بلاد الهند، وكاتباً قديراً معروفاً باللغة الأردية، متفقاً على جلالته، يمكن أن يفضل غيره عليه من بعض النواحي».

وقد كان شبلي نفسه يرى محمد حسين آزاد أفضل الكتاب المنشئين باللغة الأردية، لكن إذا نظرنا مترفعين عن العصبية والتحزب الأدبي وجدناه من حيث المجموع أعلى الأركان الخمسة مكانةً لجامعيته[1].

يقول العلامة السيد سليمان الندوي وهو يشيد بمزايا أسلوب شبلي في كتاباته الأردية: «ابتكر لنفسه أسلوباً بديعاً يتّسم بسهولة البيان، وسلاسة التعبير، وجودة الترتيب، وانتقاء الكلمات السهلة، ومحاسن التشبيه، وجمال الاستعارة، حتى اعتُبِرتْ كتُبه نماذج عليا في الأدب والإنشاء، واتبعه في أسلوبه الباحثون، والمثقفون، والعلماء، وصارت

(١) مجلة (معارف) عدد يوليو ١٩٩٥م.

لغتُه الآن عمدةً للكتابات العلمية والدينية»[1].

كان من قبول منهج شبلي في الكتابة أن اتبع عامةُ الكتّاب والباحثين أسلوبه في اللغة الأردية، يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «لا ترى دائرةً من الدوائر العلمية إلا وتتبع شبلياً في أسلوبه الكتابي، ومنهجِه في البحث والتحقيق، ومذهبه في النقد»[2].

وساهم العلامة شبلي في تأسيس (جمعية تطوير اللغة الأردية) وهو أول من فُوِّضت إليه الأمانة العامة للجمعية سنة ١٩٠٣م، فبذل جهد المستطاع في توطيد دعائمها، وإحكامِ أركانها، حتى أصبحت ولا تزال تخدِمُ اللغة الأردية وآدابها.

الشعر:

كان مطبوعاً على الشعر، احتاج في طفولته إلى رداءٍ فكتبَ إلى أبيه بيتاً باللغة الأردية يسأله فيه الرداء، ومعنى هذا البيت: «من كان أبوه في هذه المكانة من الثراء هل يحتاج ابنُه إلى الرداء».

كان شاعراً قديراً في اللغتين الأردية والفارسية، ويشمل شعره المواضيع الدينية، والخلقية، والسياسية، والأدبية، كما أنه أجاد في الغزل والنسيب.

---

(١) مقدمة حياة شبلي، ص٣٤.
(٢) المرجع السابق، ص٣٨.

يقول شبلي: «إنَّ ملكتي الشعرية موهبةٌ مطبوعة، لم أكتسبها بالممارسة، ولم أشتغل بالشعر مدة طويلة»[1]، ويقول: «لا أقدر على النظم، رغم أنّي صدرتْ مني آلاف الأبيات من الشعر، أعني أني لا أستطيعُ أن أكتب حرفاً من دون انطباع فوري، سألني أصحابي مراراً، وضغطت على نفسي، ولكنّي لم أقدر على بيت شعر»[2].

وكان يقول الشعرَ باللغتين الفارسية والأردية، وكان شعره في غاية القوة والفصاحة، ومما زاد إقبال الناس عليه شعره، وحُسنُ إنشاده له في المجالس العلمية والأدبية.

النقد الأدبي:

جمع شبلي إلى جانب سليقته الأدبية الفذّة وكفاءته الشعرية النادرة ملكةَ النقد الأدبي، وأثرى اللغة الأردية بكتاباته النقدية، فكتب مقالات تحت عنوان (شعر العرب)، ناقش فيها محاسن كلام العرب ومزايا شعرهم البارزة.

وألف (شعر العجم) في تاريخ الشعر الفارسي ونقده، و(الموازنة بين أنيس ودبير) في نقد الشعر الأردي، وغير ذلك من كتاباته النقدية.

---

(١) مكاتيب شبلي: ٢/ ٧.
(٢) المرجع السابق: ١/ ٤.

يقول: رام بابو سكسينه: «يحتل شبلي ذروةً سامقةً في مجال النقد الأدبي، كان ـ وهو نفسُه شاعرٌ كبيرٌ ـ قد أعطي هذه الموهبة على أعلى مستوى، وكانت بصيرته، وحكمُه، وذوقُه في مكانٍ رفيعٍ، نزيهاً عن الزلل والخطأ»[1].

التدريس:

اشتغل بالتدريس والتعليم منذ البداية، ودرّس ابنَ خاله إمام المفسرين العالم الصالح التقي مولانا (حميد الدين الفراهي) والمولوي (محمد سميع المرحوم) وغيرهما، ثم لما ارتحل إلى (عليكره) اشتغلَ مدّةً طويلة بالتدريس في الكلية، وممن درس عليه بها الشيخ المعلم (ماجد علي الجونبوري) والأستاذ (محمد علي جوهر) وغيرهما.

وأما (دار العلوم) لندوة العلماء فكان يلقي فيها دروساً مختلفة في التفسير وعلوم القرآن والأدب والحديث.

التأليف والكتابة:

وكان حريصاً على البحث عن الكتب والمصادر النادرة البديعة القديمة ودراستها، وكان يقضي معظمَ أوقاته في مكتبه في (أعظم كره)

---

(١) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٩٣.

يطالع الكتب العلمية ودواوين الشعراء.

وبعد أن اتصل بـ (عليكره) وطالع كتب الأئمة المتقدمين اتّسع أفقه، ووقف نفسَه على نصرة الدين الحنيف، والدفاع عنه، والاهتمام بالشؤون التعليمية والإصلاحية والاجتماعية للمسلمين، وتطوّرت كتاباته العلمية تطوراً عظيماً حتى خضع له أساطين العلم والأدب.

تمتازُ كتاباته بلغتها السهلة الفصيحة، وأسلوبها الأدبي الرائع، يقول رام بابو سكسينه: «يمتازُ أسلوبه بالطبعية، والسهولة، والبيان، والوضوح، ولا يشوبه شيء من الغموض»[(١)].

* * *

(١) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٩٤.

الفصل الرابع

بعضُ حوادث في حياته، ووفاتُه

أذكر في هذا الفصل الحوادث الخطيرة في حياته، ثم وفاته.

حادثة قطع رِجله:

كان شبلي مشتغلاً بتأليف كتابه القيم في تاريخ الشعر الفارسي (شعر العجم) إذ نهض في الصباح في ١٧ مايو ـ أيار سنة ١٩٠٧م، ودخل الغرفة الداخلية، وجلس على السرير معلّقاً رجليه، وكانت بندقيتُه المشحونةَ بالرصاص موضوعةً على السرير، فحملها، ثم تناولتها منه بعض النسوة من بيته، فزلت أصبعها وأطلقت الرصاص، وكان الهدفُ رجِلَ شبلي فانكسرت، وجرى دمٌ كثير، فلمّا رأى ذلك ابنه أغمي عليه، ولكنّ العلامة لم يحس بشيءٍ، ولم يفقد وعيه، حتى جاء الطبيب، ولم ير سبيلاً إلا قطع رِجله وفصلها وشد عصابة.

لمّا وصل النبأ إلى (دار العلوم) لندوة العلماء اضطربَ طلابُها اضطراباً عظيماً، وقلِقَ الأحبّةُ والزملاء، فارتحل بعضُ أحبته كالشيخ

عبد الحليم شرر، والعلامة الشريف عبد الحي الحسني، والأمير السيد علي حسن خان، والشيخ رياض حسن خان، وغيرهم، وبعضُ الطلاب منهم السيد سليمان الندوي إلى بيته بأعظم كره لعيادته.

وظلَّ العلامة رهينَ الفراش نحو ثلاثة أشهر، ثم سافر إلى بومباي واستصنع رِجلاً من خشب، ولكنّها لم تكن صالحة، فاستصنعَ الأمير أفسر الملك من حيدر آباد رِجلاً أخرى أحسن منها[1].

وكتب زملاؤه وتلامذته عن هذه الحادثة، كما نظموا أبياتاً باللغتين الفارسية والأردية، تخيّلوا فيها تأويلاتٍ شعريةٍ لقطع الرجل، يقول محمّد إقبال سهيل في بعض أبياته:

«يا مَنْ أنت عَلَمٌ للعلمِ والعملِ، ويفتخِرُ الكونُ ويعتزُّ بوجودك، لمّا انتقلتْ إحدى رجليك إلى العدمِ، عرفتُ يا سيدي أنك تطأ العالمين بقدميك».

ويقول: «يا إقبال! لماذا لا تنتقل إحدى رجليه إلى العدم، فإنَّ سكانه كذلك كانوا في حنين وشوق إلى تقبيل رجليه».

ويقول الشاعر المعروف خواجه عزيز الدين: «يا مَن رجلك أعلى

---

(١) وكذلك كان حال الإمام الزمخشري الذي فقد رجله أيضاً فاستعان برجل من الخشب. (الناشر)

من الأفلاك، ما لك تحزَنُ على قطعها، فإنَّ الرفعة والحضيض كلاهما تحت قدميك، تضعُ رجلاً في السماء وأخرى في الأرض».

ولما صحَّ العلامة من مرضه، قال تلميذُه السيد سليمان الندوي قصيدةً باللغة العربية نثبتُها فيما يلي[1]:

عادَ الربيعُ لروضي بعد ما ذهبا
وعمّر اللهُ ربعي بعد ما خَرِبا
وزيّن الأرضَ خضراً بعدما يبست
والبرقُ عادَ سناهُ بعدَ ما احْتجبَا
وفجّرَ العلمُ عيناً بعد ما نَضبا
وأشرقَ الفضلُ شمساً بعد ما غرَبا
يامَنْ سماحتُه عمّت بصائِرَنا
أعطيتَ ما فاق أبهى الدُّرَ والذهبا؟
إذا مرضتَ فكلُّ الناسِ قد مَرِضُوا
والعلمُ والفضلُ نالا مثلهم نصبا
إذا برئتَ فكلُّ الناس قد برئوا
والعلمُ والفضلُ ماسا مثلهُمْ طرَبا

(١) انظر حياة شبلي، ص٤٦٠ ـ ٤٧٥.

مــــا رِجلُــــكَ انفصلــــتْ إلاّ لهمَّتهــــا
عــن أرضنــا بعُــدَتْ تسْتصغِــرَ التُّــرَبــا

رجلٌ بهـا جِزْتَ كَـمْ مِنْ سَبْسَبٍ وقُرَى
فــي الفضْــلِ مَــرْتَغِبــاً للعلْــمِ مُطَّلِبــا

بهــا وطئــتَ بــلادَ التــركِ مُغْتَــربــاً
واجْتـزْتَ مِصْـرَ وبيـت القـدس والعـربـا

لهــا تخــرُّ جبــاه العلــمِ ســاجــدةً
إذكعْبُهــا كَعْبَــةٌ للعلــمِ لا كَــذِبــا[1]

نلــت العُلــى وسبقــتَ القــومَ قــاطبــةً
وإنْ همــو شــاركــوك سيــدي اللقبــا

كــلُّ النجــومِ وإن قيلَــتْ لهــا شهــبٌ
لكنّهــا الشّمْــسُ فــاقَــتْ هــذه الشُّهبــا

إذا اسبكــر عليــكَ الليــلُ حــالِكَــه
مضــى وأنــتَ تُــراعــي الصُحْـفَ والكُتُبـا

جــادَتْ يَمينُــكَ بــالأسفــارِ مِــنْ قلــم
بــه غــدا دُرَّةً، مــا كــان مَشْخَلَبَــا[2]

---

(١) لا يخفى ما في هذا البيت من مبالغة وتهويل. (الناشر)
(٢) خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ.

وفاة والده :

توفي والده في الثاني عشر من نوفمبر ـ تشرين الثاني سنة تسعمئة وألف، فحزن عليه حزناً شديداً، ورثاه الناس عامة، وكتب شبلي مرثيته بالفارسية، وأثرت الحادثة في نفسه تأثيراً قوياً، فكتب إلى العلامة الشريف عبد الحي الحسني: «واحزناه، أمسيت يتيماً»(١).

وفاة أخويه :

كان أخوه (مهدي حسن) معروفاً بذكائه وثقافته، وكان قد درس في عليكره وإنكلترة، وكان معقدَ الآمال في بيته، ولكنّه توفي شاباً في ٢٩ يونيو ـ حزيران سنة ١٨٩٧م، فحزن على وفاته حزناً شديداً.

وتوفي أخوه الأوسط المولوي (محمّد إسحاق) في ١٥ أغسطس ـ آب سنة ١٩١٤م، في مدينة إله آباد، فكانت وفاته حادثة مفجعة مؤلمة، فرجع من بومباي ـ حيثُ كان عاكفاً على تأليف موسوعته (سيرة النبي ﷺ) إلى موطنه (أعظم كره) ورثى أخاه بأبيات باللغة الأردية لا تزال حيةً تستثير الحزنَ والكآبةَ.

ورغم هذه الفاجعة التي سلبت فؤاده، وحرمته اللذة، لم يقلّ اهتمامه بالشؤون القومية، فقد بذل عنايته البالغة نحو (مدرسة الإصلاح)

---

(١) حياة شبلي، ص٣٥٥.

بقرية (سراي مير) ومدرسة شبلي (كلية شبلي) بأعظم كره، وتأسيس (مَجْمَع دار المصنفين) وإنجاز موسوعته (سيرة النبي ﷺ)، وكتب إلى مولانا (حبيب الرحمن خان الشرواني) في الثاني عشر من سبتمبر ـ أيلول سنة ١٩١٤م:

«أثّرت فيَّ فجيعةُ العزيز المرحوم ما لم أجرّب مثلَه طولَ حياتي، مع أنَّ حادثة أخي المهدي المرحوم لم تكن أهونَ من ذلك، ومهما يكن الأمرُ فقد وصلتُ الآن إلى (أعظم كره) وإنّ (مدرسة شبلي الإسلامية) في تقدّم وازدهار، وأنا معنيٌّ الآن بتأسيس (مجمع دار المصنفين) وفتح (دار التكميل)[1] وكان من العسير والمستحيل عليَّ مواصلةُ العمل في (دار العلوم) لندوة العلماء.

«قضيت نحو ستة أعوام في صراع مستمر، وهذا ما يبعثُ على العجب، ويقرب المدرسة بستانٌ لي ولأسرتي، سأجعله وقفاً، وقد رضيَ الشركاءُ كلّهم بذلك، كتبتُ المسودة، وسأقوم بالتسجيل»[2].

وهذه البقعة التي وقفَها العلامة شبلي هي التي يقومُ عليها الآن (مجمع دار المصنفين) الذي قام منذ تأسيسه بخدمات جليلة في مجال العلوم والثقافة الإسلامية ما لم يُشْهَد مثلُه في أيِّ قطر من أقطار الهند حتى الآن.

---

(١) يعني قسم تربية الطلاب المتخرجين.
(٢) حياة شبلي، ص٦٧٦ـ٦٧٨.

وفاته:

كان العلامةُ موفورَ القوّةِ والطاقةِ والصحة أيام شبابه، ولكنّ جوّ (عليكره) أثرّ في صحته تأثيراً سيئاً، وأصيبَ بعلل عديدة في بطنه ومعدته لزمته حتى الوفاة، ولمّا انكسرت رجله توقّف عن التجوال والتنزّه اللازمين لصلاح المعدة والبطن، وزادَ مناخُ لكنؤ في علله وأمراضه، ولأجل ذلك كان يقضي فصل الصيف في بومباي حيث الجو معتدلٌ، وتركت إقامته في بومباي أثراً صالحاً على صحته، ولكنّه لم يُشفَ من مرضه، وبعد أن توفي أخوه محمد إسحاق ازدادت صحته سوءاً وسقماً.

ولكنّ هذا كله لم يمنعه من الأعمال العلمية، إلاّ أنه كان قد يئس من حياته، فأرادَ أن يبحث عن رجال أكْفاء يخلفونه في أعماله، فكتب إلى العلامة حميد الدين الفراهي ـ رحمه الله ـ في ١٦ أكتوبر ـ تشرين الأول سنة ١٩١٤م قبل وفاته بشهر واحد:

«إذا صححتُ يومين مرضتُ أربعة أيام، لكنّي لستُ عاجزاً عن الحديث، يظنّون أنْ لا داءَ بي ولا مرضَ، قد اختل جهاز الجسم، وأصابني الآن بردٌ شديدٌ، يا للأسف البالغ علي إنْ لم أتمكن من إنجاز تأليف (سيرة النبي ﷺ) ولا أرى أحداً يقومُ بهذا العبء، وإذا أسستُ (دار المصنفين) فمن يديرها غيرُك؟ سيعودني اليوم السيد سليمان،

وبعد يوم أو أيام سيزورني بعض طلّاب التكميل، لكنَّ المرض يحبِط جميعَ المشروعات[1].

كان العلامة قد يئسَ من حياته، فلف جميع مسودات (سيرة النبي ﷺ) في ثوبٍ، وأقفل عليها في رف، وأوصى أقاربه أن يضعوها بين يدي العلامة حميد الدين الفراهي والعلامة السيد سليمان الندوي فقط، وأرسل في ١٠ نوفمبر ـ تشرين الثاني سنة ١٩١٤م قبل وفاته بثلاثة أيام برقيات إلى الإمام حميد الدين الفراهي بحيدر آباد، ومولانا أبو الكلام آزاد بكلكتة، والسيد سليمان الندوي، ولكنّ العلامة السيد سليمان الندوي خرج بدافعٍ من نفسه إلى زيارة أستاذه في اليوم نفسِه قبل أن يتلقّى البرقية، فلما وصلَ إليه في ١٠ نوفمبر ـ تشرين الثاني كان العلامة قد فقد قوّته، يقول السيد سليمان الندوي:

«وقفتُ على رأسهِ وعيناي تفيضان دمعاً، ففتح عينيه ونظر إليَّ في حسرةٍ ويأسٍ، وأشارَ بيديه ماذا الآن؟ ثم كرّرَ هذه الكلمة بلسانه، فناولوه بعض الأدوية حتى جرت قوةٌ في جسمه، فضمَّ يدي بيديه، وقال: إنَّ (سيرة النبي ﷺ) عصارةُ حياتي، اعكفُ على إتمامها، وانقطعْ إليها، فقلتُ في صوت نشيج: إي والله، إي والله»[2].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٢٢ـ٧٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٧٢٤.

ووصل مولانا (حميد الدين الفراهي) مساءَ السادس عشر من نوفمبر ـ تشرين الثاني فدعاه هو والسيد سليمان الندوي صباح السابع عشر، ونطقَ بلسانه ثلاثَ مرات: السيرة... السيرة... السيرة، وأشار بأصبعه إلى تأليفِ موسوعةِ (سيرة النبي ﷺ) والاشتغال بها عن جميع الشؤون، كانت هذه هي وصيتُه الأخيرة، ثم توفي هذا الإمام العَلَم ضحوةَ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة وألف[1] ببلدة (أعظم كره) عن سبع وخمسين سنة، ودفن بناحية من منزل شبلي حيث كانت رجله دفنت قبل ثمانية أعوام.

هزّت وفاتُه الهند كلَّها من أقصاها إلى أقصاها، وتتابعت رسائل التعازي والمقالات وأبيات الرثاء والقطع التاريخية، التي لو جمعت لبلغت مجلداً ضخماً.

---

(١) وهذه هي السنة التي ولد فيها شيخُنا الإمام العلامة الشريف أبو الحسن علي الندوي الذي يشبه شبليّاً في كثيرٍ من سماته البارزة، وهما يتقاربان في تأثيرهما في حركة ندوة العلماء، ودارها للعلوم، فإن كانت (دار العلوم) تدين لشبلي في منهاجها التعليمي وحركة التأليف والكتابة باللغة الأردية الفصحى، ونشر رسالتها في بلاد الهند، فإنها تدين للإمام أبي الحسن في منهاجها التربوي القائم على الربانية، والكتابة القوية باللغة العربية الفصحى، ونشر رسالتها في العالم بأسره.

الأهل والأولاد:

تزوّج واحدة من قريباته في قريته ووُلد له منها أولاد، توفّي بعضهم في سنّ الحداثة، وتوفّيت ابنتاه (فاطمة) و(رابعة) في حياته عن أولاد لهما، ومن أولاده الذكور الذين بقوا بعد وفاته ابنه (حامد النعماني) الذي ولد سنة ١٨٨٠م.

توفّيت زوجته سنة ١٨٩٠م، ثم تزوّج من امرأة أخرى سنة ١٩٠١م ولد له منها ابنتان، وولد له ابن سنة ١٩٠٤م، ولكنّ الثلاثةَ ماتوا في حداثة السن، وماتت زوجته هذه سنة ١٩٠٥م فحزن عليها حزناً شديداً، وكان معه مولانا أبو الكلام آزاد، ويقول عن حزن العلامة: «إنّه بكى في صراخٍ وعويلٍ بعد وفاةِ زوجته هذه»[١].

* * *

(١) حياة شبلي، ص٧٢٨.

الفصل الخامس

أخلاقه وشمائله

نذكر فيما يلي أخلاقَه وشمائِلَه الكريمة التي اتصف بها:

مذهبه في العقيدة والفقه:

كان شبلي أصولياً متكلّماً، مدافِعاً عن مذهب أهل السنة والجماعة، متردّداً بين الأشاعرة والماتريدية[1]، مع ميل إلى مذهب المحدّثين، وإشادةٍ بجهود الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الردّ على الأشاعرة، قام شبلي مع تنويهه ببعض آراء الأشاعرة، بانتقادِهم في تفلسفهم الغالي، وإضاعتهم جهودَهم في المسائل التي لا تهم الإسلام، وإثارة كثير من الشكوك والشبهات التي قادتهم إليها عقليتُهم المصطنعة، يقول: «يشتمل

---

(١) اتهمه معارضوه بالاعتزال كذباً وزوراً، وقد أنكر ذلك أشدَّ الإنكار، يقول العلامة السيد سليمان النَّدْوي: «إنّه لمن الخطأ البين اتهامه بالاعتزال، بل الحق أنه كان متصلّباً في المذهب الحنفي، فلمّا اتجه إلى علم الكلام انتهى إلى الماتريدية» (حياة شبلي: ٢٨٥)، قلت: لو طالت به الحياة لانتهى إلى مذهب المحدثين.

جزء كبير من كلام الأشاعرة على الردّ على الفلسفة الإغريقية، لا شكَّ أنَّ روح علم الكلام هو الردّ على قضايا الفلسفة التي تعارِضُ الإسلام، لكنّ المتكلمين ارتكبوا أخطاءً شنيعةً، فكثيرٌ من القضايا التي كانوا يرونها من الفلسفة اليونانية لا تمتُّ إليها بصلةٍ، بينما كان كثيرٌ من آراء فلاسفة اليونان لا تعارِضُ الإسلامَ في الغالب[1].

كان (علماء الحنفية) في القديم متّبعين لمذهب (أبي منصور الماتريدي)، حتى إنّ ابنَ الأثير كتب في حوادث سنة ست وستين وأربعمئة: «وهذا مما يستظرف أن يكونَ حنفي أشعرياً»، ولكنَّ العلماء المتأخرين من الحنفية مالوا إلى مذهب الأشاعرة، وذلك بتأثير الإمامين (الغزالي) و(الرازي)، ولكنّ شبلي لم يرضَ بهذا المنهج التقليدي، فردَّ على الأشاعرة أخطاءَهم، وقَبِلَ من الماتريدية ما وافقَ الصواب من آرائهم.

وأشاد في كتاباته بفضل (الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى) ونوّه بانتقاداته للفلاسفة والمتكلّمين، يقول شبلي: «تضلّع ابنُ تيمية بعلم الكلام، ونظرَ في الطرق الكلامية نظرةَ بحثٍ وتحقيقٍ، درس كلامَ الأشاعرةِ فوجدَ فيه مسائل لم ينتقدها أحدٌ، مع أنّها كانت تستحقّ النقدَ، فقام ابنُ تيمية بكلّ حريةٍ واستقلالٍ بإبطالِ هذه المسائل»[2].

---

(١) علم الكلام، ص ٩٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٠٢.

ويبدو أنَّ شبلي صار له ميلٌ في آخرِ حياته إلى مذهب المحدّثين، وذلك بفضل ما اطلع عليه من كتب (شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى)، وكانت هذه خطوةً جريئةً من شبلي في جو الهند المعادي للإمام ابن تيمية أشدَّ المعاداة.

وكان في فروع الدين متبعاً لمذهب أبي حنيفة وأصحابه، متصلِّباً في البداية، ومتسامحاً بقيةَ حياته.

يقول في مقاله الذي كتبه قبل وفاته بستة شهور: «إنّي على مذهب أبي حنيفة في عقائد الإسلام، ومسائل الفقه»[1].

التدين:

كان متبعاً لمذهب أهل السنة والجماعة في العقائد، ومتقيّداً بالفرائض والواجبات والسنن الدينية، وكان يسألُ غيرَه أن يلتزموا بها، وكان يواظِبُ على الصيام مسافراً كان أو مقيماً، مريضاً كان أو صحيحاً، وكان يقومُ من الليل مبكراً، يتوضأ ويصلي ويتلو القرآن الكريم، وكان في مظهره وملبسه ملتزماً بالبساطة، ولم يستعمل قط الزيَّ الأوروبيّ.

يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: «كان أكبر ميزاته تديّنه،

---

(١) مقدمة حياة شبلي، ص٤٣.

الذي كان أحبَّ إليه من كلّ شيء، والذي تجلّى في حياته أكثرَ من أيِّ شيءٍ»[1].

الحمية الدينية:

كان حنفياً متصلّباً في البداية، يناظر غير المقلدين، ويجادلهم، ويكتب ويؤلف في الردّ عليهم، ثم لمّا توسعت دراسته تحوّلت هذه العصبية إلى حمية دينية، وغَيرةً إسلامية، وكان يحبُّ العرب والترك محبةً شديدةً، فكان لا يملك نفسَه إذا نال منهم أحدٌ وعابهم، ردّ على كتاب (التمدن الإسلامي) للأستاذ جرجي زيدان، لأنّه أساءَ إلى العرب ونال من بني أمية، وكان يهتمُّ بشؤون تركية وقضاياها، وكان يجمعُ التبرعات والمساعدات المالية في حروب تركية ويرسلها إليها، وكان متعصّباً لجميع خلفاء وملوك المسلمين، وكان ينكِرُ أشدَّ الإنكار جميع التهم التي وجهت إلى أمير المؤمنين (عمر الفاروق رضي الله عنه) و(المأمون) و(جهانكير) و(محيي الدين أورنك زيب عالمكير) من ملوك الإسلام.

كراهيته للبدع:

وكان يكره البدع والمحدثات أشدَّ الكراهية، ويتذّمر منها، ويرى

---

(١) مجلة الأديب، العدد الخاص بشبلي، ص٩.

البدعَ التي يقترفها العامةُ على مقابر الشيوخ وضرائح الأولياء شِرْكاً، حتى إنه قال لبعض المتصوفة: «لابدَّ من إحراقِ المعابد الوثنية في أجمير»[1]، يريدُ ضريحَ الشيخ الصالح الكبير معين الدين الجشتي رحمه الله تعالى الذي يعتبر أول من قام بنشر الدعوة الإسلامية في شمالي الهند، والذي يقصده عامة الناس ويدعونه في حاجاتهم.

وكان من أبعدِ الناس عن البدع التي أحدثها الناسُ في شعبان ومحرم وغيرهما ومن الشهور.

الصدق:

كان الصدق من شيمته، لا يغتابُ أحداً ولا يعيبه، وكان يبغض الغيبة والعيبَ، نال شهادة الحقوق، واشتغل بوظيفة المحاماة، ولكن تأكّدَ لديه بعد مدة يسيرة أنَّ الثباتَ على الصدق مستحيلٌ في هذه الوظيفة فتركها، وكان يكره الكذب حتى في التوصيات، فلم يكن يكتب في التوصيات إلاّ بما تحقق لديه.

الرحمة:

كان رقيقَ القلب رؤوفاً رحيماً، يخشع قلبُه لأدنى حادثة، رأى مرة في طريقه إلى (أعظم كره) بعض الناس يبكون بكاءً شديداً، فسأل عن

---

(١) حياة شبلي، ص٨٢٤.

ذلك فقيل: فلاّحون فقراء يبكون على ثورٍ مات لهم، فأعطاهم عشر روبيات.

وكان يقول: «لن أستسيغَ الطعام إذا عرفتُ أنَّ أحداً باتَ ليلتَه جائعاً طاوياً»[1]، وكانت الدموعُ تتسارع إلى عينيه، من لينِ قلبه ورقة طبعه.

غنى النفس:

ولد شبلي في أحد البيوتات الثرية في (أعظم كره) ولكن لم يدخل حُبُّ الثروةِ والمالِ في قلبه، وآثرَ الزهد في العيش، وخشونة المطعم والمشرب، وبساطة الملبس، وقنع بما كسب بيديه، ولم يأخذ سهمه من مال بيته، ولم يستفد من حقوق كتبه، واعتكفَ في (دار العلوم) لندوة العلماء في زهدٍ وقناعةٍ، وكانت أبوابُ الثراء والغنى مفتوحةً أمامه، مع أنَّ بعض الناس عبر عن ذلك بقتل النفس، وتكليفها ما لا تطيق، وكانت حياتُه كلّها عبارة عن قول النبي ﷺ: «كنْ في الدّنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»[2].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٧٠.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب»، من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا.

وكان حبُّ المال والجاه قد خرجَ من قلبه، وكان يقدّم أحبته وتلاميذه على نفسِه، ومن ثَمَّ نجح في إعدادِ رجالاتِ أكْفاء في مختلف مجالات العلوم ما لم يعدّ مثلهم غيره.

يقول رام بابو سكسينه: «لم يَتُقْ شِبْلي قطُّ إلى المال، وبذلَ بسخاءٍ كلَّ ما مَلَكَ»[1].

نالت كتبُ شبلي قبولاً كبيراً، لو أراد أن يتمتّعَ بحقوقها لادّخرَ مالاً كثيراً، ولكنّه لم ينتفع بها، وكان قد وقفَ نفعَ بعض كتبه على مدرسة العلوم بعليكره، فكتب السيد أحمد خان يمدح غنى نفسه: «إنّه على طريقة العلماء المتقدّمين والسلف الصالحين الذين لا ينظرون إلى الدنيا وحطامها، بل ينظرون إلى رحمة الله وبركاته، أو إلى حالةِ القوم وإصلاحهم، ولم يرغب في منفعة شخصية من تأليف كتبه، بل وقفها على مدرسة العلوم، وحينما ننظرُ إلى وضعه الاقتصادي يزدادُ كرمه هذا رفعةً وعلواً في عيوننا، ذلك فضل الله، يؤتيه من يشاء»[2].

إباء النفس:

كان أبيَّ النفس في غير كبرٍ، ولم يذلّ نفسه قط، ولم يهنها، وكان

---

(١) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٩٢.
(٢) مقالات السيد أحمد خان، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦.

شاعراً كبيراً من شعراء اللغة الفارسية، ويعتقدُ بعض الأدباء النقاد أنه خاتم شعراء الفارسية في الهند، ولو أرادَ لامتدحَ بشعرِه الأمراءَ والأثرياءَ وتكسّبَ بشعره، ولكنَّ سمو نفسه لم يسمح له بذلك، كان لا يقبلُ من الأمراء هباتهم وعطاياهم، ويرى ذلك معارِضاً لإباءِ النفس.

ذهبَ مرةً لمقابلة زكي باشا خلال زيارته لتركية، وكان الباشا مستعجِلاً، فردَّ على تحيته، واستخرج بعضَ النقود من جيبه، فعجبَ العلامة من ذلك عجباً شديداً، ثم عرف أنّه يحسبه فقيراً من الفقراء المتسوّلين، فحزنَ حزناً بالغاً، وصاح في غضب وقال: شو هذا، ما جئنا لهذا، لسنا من الفقراء، فلمّا عرف الباشا مكانته ندم ندماً شديداً[1].

التواضع:

كان متواضعاً للغاية، يقابلُ عامة الناس، ويتحدّث إليهم، ويتبسَّط معهم، ويحبُّ الطلاب ويقابِلُهم ويتحدّث معهم، ويزورهم، وأحياناً يجلسُ في المتاجر والبقالات، وكان يزورُ أقرباءه وأحبته في بيوتهم ومساكنهم، وكان يلبسُ الثياب الخشنة، وينامُ على السرير العادي، ويجلسُ على الحصير، وكان بعيداً عن الزينة.

---

(١) حياة شبلي، ص٧٤٨.

حرية الرأي:

كان جريئاً في إبداء رأيه الذي يراه، وإذا خالفه أحدٌ ردَّ عليه ردّاً عنيفاً، إذا أحبَّ أحبَّ بشدة، وإذا خالفَ خالفَ بشدة، لكنّ موالاة الأحبة لم تحمله قط على تملّقهم، وكان لا يغيّرُ رأيَه محاباةً لأعزّ أصدقائه، وكان يردُّ على معارضيه آراءهم، وإذا خالفهم عن ظهر الغيب لم يذكّرهم بكلماتٍ تنمُّ عن الاغتياب والعيب، يردُّ على معارضيه ردّاً عنيفاً، ويقدّم براهينَه وأدلّته بقوةٍ صارمةٍ، ولكن لم يهن قط معارضيه بالنيل منهم والطعن فيهم.

كانت معارضةُ المنهاج الدارسي القديم وإدخالُ اللغة الإنكليزية والمعارف الحديثة في المقررات مما يعيبُه العلماءُ في ذلك الوقت، ولكنّه لم يبالِ بمعارضة أحد، ولم يغيّر المنهجَ الذي استحسنه، وأخيراً كان النجاحُ حليفَه، وقرّرَ تدريسَ اللغة الإنكليزية في دار العلوم وغيرها من المدارس العربية في الهند.

وكان لا يبالي في الصدق لومة لائم، كتب في إحدى رسائله: «إنَّ الإنسان يستطيعُ بنفسه أن يحكمَ بحسن شيءٍ وقبحه، وبعد ذلك لا ينبغي أن يكترثَ بالناس ولا سيما بعامتهم»[1].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٦٥.

البساطة:

ولد العلامة في أسرة ذات رفاهية ونعمة، لكن حُبّبت إليه البساطةُ، فكان يقطعُ مسافةً طويلةً في السفر والرحلات من دون أن يستصحبَ معه خادماً، وكان يرى أنَّ الرفاهيةَ والنعمةَ من أكبر المعوّقات في سبيل نهضة المسلمين وتقدّمهم، وكان من شرطهِ للطلاب المتدرّبين في (مجمع دار المصنفين) أن يتقيدوا بمظاهر العلماء البسيطة، ويبتعدوا عن التكلّفِ والتبهرجِ والزينةِ.

الحس المرهف:

إنّ الحسَّ المرهف هو الذي يحمِلُ المرءَ على العظائم والمخاطرات والمجازفات، وكبارُ الشخصيات في العالم كانوا أكثرَ الناس إرهافاً في الحس، وكان العلامة شبلي مرهَف الحس، وبالغَ الشعور، وكانت شِدّةُ حسِّه هي التي جعلته شاعراً طبيعيّاً، ومصلحاً شعبيّاً، يقول الأمير (حبيب الرحمن خان الشرواني):

«كانَ مرهفَ الحسِّ، يؤثّر فيه الحزنُ والألم تأثيراً بالغاً، كنتُ أنا وهو مـرةً في غرفةٍ إذ لسعه زنبور صغير نحيل، فاضطرب اضطراباً كبيراً أدهشني، وأثار عجبي، ولا أزال أتصورُ ذلك الاضطراب»[1].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٧٣.

النظافة:

كان يحبُّ النظافةَ، ويلبس النظيفَ من الثياب، ويبدّل الملابس مرات في الأسبوع، وكان يهتمُّ بتنظيف غرفته، ويكنّسها بنفسِه في عامة الأحوال، وإذا أكل شيئاً لم يستعمل أصابعه إلاّ ما اضطر إليها، وكان يكرهُ الرائحةَ الكريهة فلا يجالِسُ مدخني الشيشة والسيكار.

الخلوة:

وكان يحبُّ الخلوةَ في أوقات خاصة، فكان يؤلمه أن يغشاه أحدٌ في أوقات عمله أو ساعات راحته ومنامه، وكان ينامُ وحدَه في غرفته، وإذا لقيه أحد وأطال الجلوسَ معه تأذّى منه، وكان قد كتبَ على بابه (اللقاء قبل الساعة الرابعة غيرُ مسموحٍ به)، إنّما أحبَّ الإقامةَ ببومباي فمن أجل الخلوة، وكان يقول: «يقيمُ شبلي هنا ولا يعرفُه أحد»[1].

أعماله اليومية:

كان يستيقظُ في الساعة الرابعة صباحاً، ويقرأُ ما يحفظ من آي القرآن الحكيم مضطجعاً على فراشه بصوت عال، ثم ينشِدُ بعض أبياتِ ديوان الحماسة، ثم يتوضّأ، ويصلّي، ويتناول الشاي، وكان يجلس في الحمام طويلاً، ويتصفح فيه الجرائد والصحف، ثم يجلس ويكتب،

---

(١) حياة شبلي، ص٧٦٣.

ويؤلّف، ويردُّ على الرسائل والكتب حتى الساعة التاسعة، ثم يشتغل بمطالعـة الكتب، ولم يكن يحبُّ مقابلـةَ أحدٍ في ذلك الـوقت، وكان خلال إقامته بلكنؤ قد علّق لافتةً كبيرةً كتب عليها: «أرجو أن تسامحوني حتى الساعة العاشرة»[1].

وكـان يتناول الغداءَ بين السـاعة التاسعة والعاشـرة، ويشـتغِلُ بمطالعة الكتب حتى الساعة الرابعة، ثم يزوره الطلاب والزملاء بعد الساعة الرابعة، كان مجلسُه مجلساً علمياً ممتعاً، بسيطاً، وعرياً عن التكلف، ويستمرُّ هذا المجلس حتى المغرب أو بعده، ويتناول العشاء قريباً من المغرب، ثم ينامُ في الساعة التاسعة، وكان يكره أن ينام أحدٌ قريباً منه.

الحفاظ على الأوقات:

كان ملتزماً أشدَّ الالتزام بفرائضه وواجباته ومسؤولياته، وقد ذكرنا فيما مضى أعماله اليومية التي كان يواظب عليها.

يقول السيد سليمان الندوي: «كان يردُّ على الرسائل في حينها، ولا يؤخِّر الرد للغد، كنا نعد الأيام وننتظر رسائله، فكانت تصلُ إلينا في موعدها»[2].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٢٩.
(٢) المرجع السابق، ص٧٧٧.

مطالعة الكتب:

كان ولوعه شديداً بدراسة الكتب ومطالعتها منذ طفولته، وهذه العادة التزم بها في رحلته، وأيامَ وظائفه وأشغاله، واقتنى كتباً كثيرة، فكانت مكتبته كنزاً لأهمّ الكتب النادرة القيمة العلمية والأدبية والتاريخية، حتى إنّه طالع جميعَ الكتب التي توفّرت لديه، وكان يقول: «لا أجدُ كتاباً أطالعه»[١].

يقول العلامة الشريف عبد الحي الحسني: «وكان واسعَ الاطلاع في تاريخ الإسلام والتمدّن الإسلامي، كثيرَ المحفوظ من الأدب والشعر، كثيرَ المطالعة، لم يفته كتاب كُتب في آداب الأمم وفلسفة أخلاقهم إلا طالعه»[٢].

وكان لا يطالع إلا الكتب القيّمة، وكان يتأسّفُ إذا رأى أحداً يطالِعُ كتاباً من مستوى دني.

مجالسه:

كانت مجالسه علميةً ممتعةً نافعةً، ينتفع بها المرءُ مهما كان مستواه العلمي والثقافي، وتتجلّى له محاسنه في كلِّ مجال، يقول الأمير

---

(١) حياة شبلي، ص٧٨٧.
(٢) السيد عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٥.

(حبيب الرحمن خان الشرواني): «لم أسمعه قط يقول لغواً»[1].

كان مجلسُه بعد الساعة الرابعة مساءً، يدخل عليه الناس من طبقاتهم المختلفة، وكان مجلسُه ساذجاً بسيطاً، لا كلفة فيه ولا صناعة.

وكان مولانا أبو الكلام آزاد يقول: «ما رأيتُ مجلساً في جميع أنحاء الهند يقارِبُ مجلسه في الإمتاع والمؤانسة والإفادات العلمية».

وقد صحبه (مولانا أبو الكلام آزاد) لعدّةِ شهورٍ في (دار العلوم) لندوة العلماء، فيقول: «كنتُ أواظِبُ على صحبته، كانت عادتُه الاستيقاظَ مبكّراً في الصباح، وكنت متعوداً عليه منذ الطفولة، كنتُ في فصل الشتاء أدخلُ غرفته في الساعة الرابعة فجراً، نتناول الشاي، ونتذاكر العِلْمَ، كان يتغنّى بالشعر الفارسي في لهجته الخاصة، ثم نتبادلُ الحديثَ حول تلك الأبيات الشعرية، وكنّا نروحُ في المساء إلى (قيصر باغ) أو مكان آخر، ونقضي الوقتَ كله في حديث علمي أو أدبي، إنّي لن أنسى ما كنتُ أتمتّعُ وأحظى به في صحبتي معه، لقد استفدتُ من مجالسه كثيراً، توفي العلامة فدفن معه كثيرٌ من الفضائل والمحاسن، ومن أكبرها مجالسه الممتعة التي لم أشهد مثلها ولو مرة في أي ناحية ولا في أي دائرة، دفن معه ذوقُه العلمي، اتسع فشمل كل أفق من الآفاق»[2].

---

(١) حياة شبلي، ص٧٩٢.

(٢) آزاد كي كهاني، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦.

حب الأقربين:

كان يحبُّ أقاربه حباً شديداً، وكان يتذكّر أمه إلى آخر أيام حياته، ويقلقُ لها ويضطرب، وكان حزنُه على وفاة أخويه المهدي وإسحاق شديداً أدهشَ زملاءه.

وكان حُبّه لتلامذتِه مثل حبه لأقاربه وذويه، وقد اعترفَ بذلك تلميذُه النجيب السيد سليمان الندوي إذ يقول: «كان كلُّ واحدٍ من تلامذته يظنُّ أنه أقربهم إليه»[1].

الأصدقاء:

كانت دائرةُ أصدقائه وزملائه واسعةً جدّاً، ومن الذين ظلت صداقته متوثقة بهم إلى آخر أيام حياته الأمير محسن الملك، وشمس العلماء مولانا ألطاف حسين حالي، والأمير وقار الملك، والأمير عماد الملك، والمولوي السيد حسين البلكرامي، والأمير مولانا حبيب الرحمن خان الشرواني، وحاذق الملك الحكيم أجمل خان، والأمير السيد علي حسن خان، وايم مهدي حسن خان، والمولوي رياض حسن خان، وخواجه عزيز الدين اللكنوي.

---

(١) حياة شبلي، ص٧٨٢.

كانت علاقته بهم علاقة ودٍّ ومحبةٍ ووفاءٍ وإخلاصٍ، يذكر محاسنهم وفضائلهم ويعترفون بمكانته، كما كانوا يقدّمونه على نفوسهم، ويتواضعون له، ويكرمونه، ويجلّونه، وكان تبادل العلاقات والصلات هذا قائماً على صفاءِ القلب الذي أوتي منه العلامةُ حظّاً كبيراً.

اعتراف المعاصرين:

كان يعترفُ بفضل معاصريه من العلماء، كما كانوا يعترفون بفضله ومزاياه، ولما عُقدتْ حفلةُ الترحيب به ـ حينما أكرم العلامة بخطاب شمس العلماء ـ ترأسها الأمير محسن الملك وقال: «إنّه أول مؤلف في عصرنا هذا جمعَ إلى فصاحة اللغة وحسنِ البيان وسلاسةِ العبارة ومحاسنِ الكتابة الاعتدالَ والمسامحةَ، وشقَّ طريقَ تأليفِ السيرةِ في أسلوبٍ بليغٍ فلسفيّ، نزيهٍ عن التخيّلاتِ الشعريةِ، والمبالغةِ والصناعةِ والبهرجةِ والتزويقِ»[(١)].

يقول العلامة شبلي: «لمّا طبع كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ بدا لي أنّه كتابٌ ينقصه النظام والتنسيق والترتيب، إذ جاءني ليلةً مولانا ألطاف حسين حالي واستعار مني الكتاب، فلمّا رده صباحاً قال: «هذه حماسة النثر».

(١) حياة شبلي، ص٨٠٣.

يقول العلامة: «إنّ كلمته هذه كشفت لي القناع عن موضوع الكتاب، وكان يقول: «أنا بحرٌ ومولانا حالي بئر» أي أن علمي واسع وعلمه عميق»[1].

لما طبعتْ مجموعةُ الشعر الفارسي للعلامة شبلي باسم (دسته كَل) أهداها إلى مولانا ألطاف حسين حالي، فكتب إليه: «كيف يعتقد أحدٌ أنَّ هذا كلام ذلك الرجل الذي ألّفَ الكتبَ المقدسة الطاهرة مثل (الفاروق) و(سيرة النعمان) و(سيرة المولوي العارف جلال الدين الرومي)... كنتُ أرغبُ في طباعةِ شعري باللغة الفارسية، ولكنّه سقطَ من عيني بعدَ أن طالعتُ مجموعتَك الشعرية، وليس في ذلك شائبة التصنع»[2].

وهنالك قصص كثيرة تدل على مدى علاقة العلامة وصلته بمولانا ألطاف حسين حالي مع النصح والمودة القلبية.

ولما أصدر العلامة شبلي (مجلة الندوة) كتب إليه المولوي نذير أحمد يثني على المجلة:

يقولونَ إنّ العلمَ والفضلَ والنُّهىٰ
حبيسٌ على المتقدّم المتبصّرِ

---

(١) حياة شبلي، ص٨٠٣.
(٢) العلامة ألطاف حسين حالي: كليات نثر حالي: ٢/ ٢٩٣.

فلمّــا تصفّحنــا صحــائــفَ نــدوةٍ
وجــدنــا بــأنَّ الفَضْــلَ للمَتَــأَخِّــرِ[1]

ثناء الناس عليه:

يصفه تلميذُه العلامة السيد سليمان الندوي بقوله: «كان محققاً باحثاً، أديباً وشاعراً، منشئاً وكاتباً قديراً، خطيباً، مؤرخاً، متكلماً، مفكراً، مصلحاً، سياسيّاً محنكاً، أخصائيّاً في التعليم، وثوريّاً تجاه كثير من متطلبات ومقتضيات العصر الراهن، فكأنّه باقةُ أزهارٍ متنوعةٍ ذات ألوان زاهية جميلة»[2].

ويقول العلامة الشريف عبد الحي الحسني: «كان قويَّ الحفظ، سريعَ الملاحظةِ، يكادُ يكشِفُ حجبَ الضمائر، ويهتِكُ أسرارَ السرائر، دقيقَ النظر، قويَّ الحجة، ذا نفوذ عجيبٍ على جلسائه، فلا يباحثُه أحدٌ في موضوع إلا شعر بانقيادٍ إلى برهانه»[3].

ويقول: «ولم يكن له نظيرٌ في سرعة الجواب والمجيء بالنادرة الغريبة على جهة البديهة، وسرد الأبيات الفارسية والأردية في

---

(١) حياة شبلي، ص٨١٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٠.
(٣) السيد عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٥.

مناسباتها، وله عنايةٌ كاملة بالعلم، ورغبة ونشاط وإقبالٌ على المذاكرة والتصنيف وإلقاء الخطب»[1].

وحلّاه عمر رضا كحالة بقوله: «شبلي النعماني الهندي، الملقب بشمس العلماء، أديبٌ، ناثر، ناظم»[2].

ولقَّبه العلامة الكبير عبد الماجد الدريابادي بـ(حجة الإسلام)[3].

وقول ناقده محمود الشيراني: «العلامة شبلي رحمه الله تعالى من أولئك الأفاضل الثقات المعدودين في عصرنا الحاضر، الذين يعتزُّ المسلمون بوجودهم، قد رفعه العديدُ من مؤلفاته إلى درجة شمسٍ ساطعةٍ في فلك العلم»[4].

ويقول مؤرخ الأدب الأردي الشهير رام بابو سكسينه: «كان شبلي النعماني أحد أبرز الشخصيات الفذّة في عهده، كان عبقريّاً متعدّدَ الجوانب، لعب دوراً رائعاً كمؤرخ، وصحفي، وأخصائي تعليمي، وأديب فني، وشاعر، وناقد أدبي، ومصلح اجتماعي، وداعية، ومعلم، وفيلسوف»[5].

---

(١) السيد عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٦.
(٢) معجم المؤلفين: ٤/ ٢٩٥.
(٣) انظر: مقدمة مجلة (الأديب) العدد الخاص بشبلي، عدد سبتمبر ١٩٦٠، ص٦
(٤) مقالات محمود الشيراني: ٥/ ٣.
(٥) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.

قال السيد أحمد خان: «لمّا أراد هذا الرجل (شبلي) الذي يشبه السلف في العلم وجودة التأليف وحسن التنسيق أن يؤلف (الفاروق) وجمعَ له مواد كثيرة لايسهل الحصول عليها، ولا يتمكّن منها كلُّ واحدٍ، ولم يزل مشتغلاً بالجمع، فإنه لم يكن يليقُ بصديقنا المنشئ سراج الدين أحمد أن يؤلِّفَ كتاباً حول هذا الموضوع، بل كان عليه أن ينتظرَ تلك الرحمة التي قدّر الله تعالى أن يفيضَ بها على البلاد بواسطة العلامة شبلي»[1].

وقال السيد أحمد خان: «إذا كان أهلُ البلاد يألفون كتابات شبلي فإنهم يوقنون بأنّه لو كتبَ عشرةُ رجالٍ حولَ موضوعٍ واحد، لامتازَ بينهم شبلي بمنهجه الفريد، فلايهمه إذا كان غيرُه قد كتبَ حول الموضوع»[2].

* * *

---

(١) مقالات السيد أحمد خان: ٧/ ٣٢٦.

(٢) المرجع السابق: ٧/ ٣٢٧ـ٣٢٨.

الباب الثاني

العلامة شبلي النعماني

وجهوده في مجال

التربية والتعليم

- العلامة شبلي وحركة عليكره التعليمية
- رحلته إلى البلدان الإسلامية
- اتصاله بإمارة حيد آباد
- حركة ندوة العلماء
- حياته الاجتماعية والتعليمية
- تلاميذه

قدمتُ في الصفحات السابقة نبذةً عن سيرته الذاتية، وأحاوِلُ الآن إلقاء الضوءِ على آثاره التي خلّدته في تاريخ الهند، ونقسّمها إلى الأعمال التعليمية والتوجيهية، وتآليفه وكتاباته.

أما النوع الأول من مآثره فنتحدّث عنه في هذا الباب، وأما النوع الثاني فنتحدّث عنه في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

شارك العلامة شبلي في معظم الحركات التعليمية والاجتماعية في عصره، ولعبَ فيها دورَ القيادةِ والتوجيه والإرشاد، وسنستعرض في الفصول الآتية اتصالاته القريبة المؤثرة البارزة بحركة (عليكره) التعليمية، وإمارة حيدر آباد، وحركة ندوة العلماء ودارها دار العلوم وغيرها من المعاهد التعليمية.

الفصل الأول

العلامة شبلي وحركة عليكره التعليمية

قد مرَّ أنَّ العلامة شبلي أنهى تعليمَه المدرسي سنة ١٨٧٦م، وخرج للحج، فلما رجع أقام في وطنه بضع سنوات، يساعد أباه في تجارته وزراعته، ويدرّسُ بعضَ الطلبة من أقاربه وغيرِهم، ويتسلّى بالشعر والأدب، ويشارِكُ في الشؤون القومية، كما شارك في بعض المناظرات المذهبية بخطاباته وكتاباته.

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «أقام العلامة (شبلي النعماني) إلى سنة ١٨٨٢ في (أعظم كره) ونواحيها، وأخذ خلال هذه الفترة امتحان الحقوق، واشتغل ببعض الوظائف والتجارة، وعُنِي بالشؤون الزراعية، ولكن رغم هذه الأعمال الشاغلة واصلَ أعماله العلمية والأدبية والدينية والقومية»[١].

---

(١) حياة شبلي، ص٩٦.

كانت حركة (عليكره) التعليمية نالت قبولاً كبيراً في ذلك الوقت في الأوساط العلمية والثقافية، وكان من أهدافها تعريفُ المسلمين بالثقافة الحديثة وصبغهم بالحضارة الغربية الراقية، ورفع مستواهم العقلي والفكري استقاء من المنابع العقلية والفكرية الأوروبية، وإلحاقهم بركب العلماء الأوروبيين، كأنّ هذه الحركة كانت محاولةً لعزل المسلمين عن ماضيهم التليد، وحضارتهم الإسلامية العريقة، وجعلهم متطفّلين على مائدة الغرب.

كان أخو العلامة شبلي (مهدي حسن) يدرس في كلية (عليكره) فسافر شبلي مرةً مع والده إليها للقاء أخيه، وكتبَ بهذه المناسبة قصيدةً باللغة العربية في الإشادة بحركة (عليكره) التعليمية، أُعجبَ بها (السيد أحمد خان) إعجاباً بالغاً، ونوّه بها وطبعها في (صحيفة عليكره) في عدد ١٥ أكتوبر ـ تشرين أول سنة ١٨٨١م، وهي قصيدة طويلة بدأها بقوله:

المجدُ يَصْحَبُ عِلماً حَيثُما يَصِلُ
والعِلمُ عَنْ قومِنا لا زالَ يرتَحِلُ
نالُوا مِنَ الذُّلِّ ما لا نالَه أحدٌ
إذ لا يُرَى فِيْهِمُ عِلمٌ ولا عَمَلُ
ولا تَزالُ تَرَى يَنْشَتُّ شَمْلُهُمُ
في كلِّ يومٍ وقَدْ ضَاقتْ بِهِمْ حِيَلُ

وبعد سنة ونصف من زيارته لعليكره شعرت الكلية بحاجة إلى أستاذ للغات الشرقية، فقدم العلامة طلبه، واختاره السيد أحمد خان لسابق معرفته، والاطلاع على مواهبه، وعُيّنَ العلامة شبلي أستاذاً مساعداً للغة العربية في يناير ـ كانون الثاني سنة ١٨٨٣م براتب أربعين روبية شهرياً، وأخذ يدرِّس اللغتين الفارسية والعربية في الكلية.

نـزل العلامة في البلدة خارجَ محيط الكليـة، فقلّما تيسَّـر له لقاء السيد أحمد خان، ولكن منذ أن تعارفَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه عـرف فضله، وأدرك مكانتـه وقيمته، وكان العلامة يحبُّ مكتبة السيد أحمد خان، وكان السيد أحمد خان يبحثُ عمّن يحلّ له عقد المسائل العقلية العويصـة، فأنزلَه السـيد أحمد خان بمكانٍ قريبٍ من مقـرّه، وأصبحتْ المجالِسُ تـدورُ بينهما كل يوم، يتبـادلان الأفكارَ والآراءَ العلمية والثقافية والأدبية، مع أنَّ السيد أحمد خان كان يكبره بأربعين سنة، يقول العلامة شبلي النعماني:

«كان السيد أحمد خان ذاتَ مرةٍ ينظرُ في كتاب (الإشارات) لأبي علي ابن سينا، واعترضت له مشكلةٌ عَجزَ عن حلها، إذ وصلتُ إليه، فقال السيد: أهلاً، هذه مشكلة أعياني حلُّها، فابتدرَ لساني قائلاً: وأنّى تستطيعُ ذلك؟ قلت ذلك ثم ندمتُ على نفسي، ثم شرحتُ له المسألةَ،

فتهلّلَ وجهُ بِشْراً»[١].

بركات إقامته بعليكره:

كان العلامة شبلي منذ طفولته مطبوعاً على الذكاء وحدة الذهن وكفاءات الانتقاد والنظر، ومواهب الكتابة والتأليف، والشعر والأدب، وكان قبلَ اتصاله بعليكره متضلِّعاً بالعلوم الإسلامية، ومتمكناً من اللغات العربية، والفارسية، والأردية، فلمّا عُيّنَ أستاذاً بكلية عليكره أفادَ طلابَها بعلومه وخبراته، كما أثر في أساتذتها وشيوخها، وسرعان ما أصبحَ شخصيةً محترمةً محببةً في الكلية، مع أنّه كان أحدثَ أساتذتها سِنّاً.

وقام العلامة شبلي بمشاركة عملية فعالة في نشاطات الكلية العلمية والأدبية والثقافية وحركة السيد أحمد خان الإصلاحية والتأليفية، ووقفَ مؤلفاته على الكلية، حتى تعودَ منافعُها إليها، وظلَّ يعملُ مساعداً للسيد أحمد خان في مجال التعليم والإصلاح حتى أصبحَ السيد أحمد خان لا يقطع أمراً إلا بتشاور معه.

ألقى في الكلية محاضراته في مواد اللغتين العربية والفارسية، وألقى دروساً منظّمة في القرآن الكريم في منهج علمي ممتع فقوّى ارتباطَ الطلاب بكتاب الله تعالى، ونشّأَ فيهم التذوّق له، يقول الأستاذ محمد

---

(١) حياة شبلي، ص١٢٦.

علي جوهر: «يرجعُ تذوقي للقرآن الكريم إلى ذلك العهد»[1]، ويقول السيد سجاد حيدر: «كان العلامة في دروسه للقرآن الكريم يُعنى بشرح أصوله في البلاغة والبيان، وصنائعه، وبدائعه، وكان يستشهد لها بأبياتٍ شعريةٍ بديعة من اللغة الفارسية، فكنّا نتواجد»[2].

وألف رسالة (بدء الإسلام) باللغة العربية حول (سيرة النبي ﷺ) حتى ينشأ الطلابُ على محبة النبي ﷺ واتباع سننه وهديه، وقرّرَ تدريسَها في الكلية، كما كان يلقي محاضراتٍ علمية عن مواضيع السيرة.

وأنشأ (لجنة الأدب) لتطويرِ اللغة العربية في الكلية، وتدريب طلابها على الكتابة والخطابة باللغة العربية، فبدأ الطلاب يساهمون فيها بكلّ رغبة ونشاط، يلقون فيها الخطب، ويقدّمون المقالات، وينشدون الشعر، وأنشأ (جمعية إخوان الصفا) لتدريب الطلاب على اللغة الأردية كتابةً وخطابةً.

وكان من فضل إقامته في الكلية أن اصطبغت حياةُ طلابها بالاعتناء بشؤون الدين، والمواظبة على الصلوات، والدعوة إليها وحثٍّ الناس عليها.

---

(١) حياة شبلي، ص١٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٩.

ودوّت الكليةُ بشعره، وأولع شيوخُها وطلابُها بإنشاداته، فما مِنْ حفلةٍ تُعقَدُ فيها إلا وكان إنشادُه جزءاً أساسياً منها، وكانت مواضيعُ شعره متنوعة من الغزل، والحزن على أوضاع المسلمين، وطلوع فجر الأمل[1]، وكان كثيراً ما يبعث الناسَ على البكاء بشعره الحزين.

وكان من فضل كتاباته العلمية أن أصبحَ جو (عليكره) جوّاً علمياً، ونشأ في طلابها اتجاهٌ نحو الكتابة والتأليف، حتى تخرجَ عددٌ كبيرٌ منهم كتّاباً مؤلفين وشعراء ناقدين، يقول القاضي مسعود علي أحد تلاميذه في الكلية مثنياً على منهج شبلي في التعليم:

«كانت عدّة قصائد للشاعر المعروف (قاآني) مقرراً تدريسُها في منهاج البكالوريوس في الكلية، وكان العلامة شبلي أستاذاً للغة الفارسية، وهو من الأساتذة القلائل الذين لا يقتصرون على تدريس مادة وشرحها، بل يقدرون على إنشاءِ رغبة حقيقية فيها، واهتمامٍ أصيلٍ بها بينَ الطلاب»[2].

---

(١) وكان شبلي أنشدَ مثنوياً بعنوان (فجر الأمل) وصفَ فيه ما يمرُّ به المسلمون من أوضاعٍ قاسيةٍ، لا سيما في مجال التعليم، وأثنى على بريقِ الأملِ الذي أحسَّ به في صورة حركة عليكره التعليمية، ونال (المثنوي) قبولاً كبيراً، وكان الطلبةُ يتغنّون به في المناسبات المختلفة، ولكنّه أقصاه في آخر أيام حياته من قائمة مؤلفاته.

(٢) حياة شبلي، ص١٥٢.

وهنا تعلّم المستشرق الشهير الأستاذ (توماس أرنولد) اللغة العربية منه حتى أتقنها قراءةً وكتابةً، يقول السيد سليمان الندوي: «كانت عند العلامة شبلي رسالةً من الأستاذ (أرنولد) أرانيها، وكان معجباً بعربيتها، ولا أزال أتذكّر كلمةً منها «وحليلتي تقرِئك السلام» هذه عربيةٌ فصحى، ولو كان عالم من علمائنا مكانه لكتبَ «وزوجتي تسلّم عليك»[1].

وبالرغم من اضطلاع شبلي بالعلوم، وتفوّقه في الآداب والفنون، فإنّه لم يزل طالباً، ورافقه ذوقُ الطلب من المهد إلى اللحد، فشارك في جوٍّ (عليكره) العلمي والأدبي، ومجالس السيد أحمد خان، وأقامَ في (عليكره) نحو ستة عشر عاماً، استفادَ خلال هذه الفترة من نواحي الثقافة المختلفة، واستقى من مصادر الفكر الحديثة، وتعرّف على الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية والعلمية والحضارية للعهد الحديث ومقتضياته ومتطلباته، ووسع في دراساته، وهذّب صناعة الكتابة وأسلوب التأليف، وأدرك قيمةَ تراثه الإسلامي العلمي والحضاري.

عرف الغربَ ودرس منجزاته العلمية والأدبية، ورسم حدودَ محاسنها ومساوئها.

مُلَخَّصُ القولِ: إنّه ظهر في عليكره مؤرخاً، ومؤلفاً، وشاعراً

---

(١) حياة شبلي، ص١٤٠ـ١٤١.

وأدبياً، بل وشمساً للعلماء، وعلامةً للزمان.

لما قصد عليكـره كان قد انتشـر صيتُه كشاعر وأديب، عُرف بين الناس باستدلالاته المنطقية، وقوة عارضته، وكان صِيْتُ بعض مؤلفاته قد اخترقَ حدود الهند، ولكنّ إقامتـه بعليكره نمّت ملكاتِـه، وطوّرت مواهبَه، وهذّبت ذوقَه، حتى صار له ذكرٌ في الدوائر العلمية والأدبية.

ولم تمض خمـس سنوات حتى ذاعَ صيتـه في الهند وخـارجها كمحاضر ألمعي ومؤلف قدير بارع، ودبّجَ يراعُه أحسنَ مقالاته التاريخية وسيره القيمة ومنظوماتِه البديعة.

يقول العلامة الشـريف عبد الحي الحسـني: «وكان متصلِّبـاً في المذهـب في ذلك الـزمان، صرفَ برهـةً من الدهـر في المباحثة مع أهل الحديـث، وصنّفَ (إسـكات المعتدي) رسالةً في قراءة الفاتحة خلفَ الإمام، ثم ولي التدريس بمدرسة العلوم في (عليكره) فصحب الأساتذة الغربيين، وأدارَ معهم كؤوس المذاكرة، وصحب السيد أحمد بن المتقي الدهلوي وحزبه، وحصلَ له نفورٌ كلي عن المباحثة، ومال إلى التاريخ والسير»[1].

كان السيد أحمد خان وأتباعه قد انبهروا بالحضارة الغربية والثقافة

---

(١) نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٥.

الحديثة فأقبلوا عليها، وأخذوها على علاتها ومفاسدها، وقاموا بتأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمعتقدات الدينية في ضوء المعارف الغربية، بينما كانت الطبقةُ المحافظة من العلماء قد أغلقت على نفسِها كلَّ باب، فحرّمت على نفسها حتى الاستفادةَ من العلوم الغربية الإنسانية والتجريبية.

ولكنَّ العلامة شبلي بفضل تربيته الخاصة وعقليته الإسلامية المتفتّحة اختارَ طريقاً وسطاً، فلم يحرّم المعارفَ الحديثة، ولم يؤمنْ بها إيماناً أعمى، بل استفاد منها بعين مفتوحةٍ وعقلٍ واسعٍ ناقدٍ، كأنَّ الله تعالى تولّى تربيتَه وإعدادَه في أكبر معهد علميٍّ حديثٍ في الهند لذلك العمل الجليل، الذي حققه بمؤلفاته القيمة ومقالاته البديعة الغالية، وأدائه دوراً بارزاً في حركة ندوة العلماء، ورسمه خطة دار العلوم لندوة العلماء، وصياغته المنهاج التعليمي الجديد المستمد من تجارب المناهج التعليمية العالمية.

فبرز العلامة شبلي في عليكره كنجم متألّقٍ في فلك العلم والمعرفة، لا يقارِبُه أحدٌ من قادة حركة السيد أحمد خان.

يقول الشيخ إكرام: «لم يكن ألطاف حسين حالي، ومحسن الملك ووقار الملك نجوماً إلا لفلك أو فلكين أو ثلاثة أفلاك، أنّى لهم ذلك التنوع الذي امتازَ به شبلي، والذي كان شيخاً بين الشيوخ، وزاهداً بين الزهاد،

وكاتباً فذّاً بين أصحاب الكتابة النثرية، وشاعراً بين الشعراء، ومعلّماً كبيراً بين المعلمين، ومؤرّخاً بين المؤرخين، وسياسياً حاذقاً بين أصحاب السياسة، ومنشئاً لرسائل الحب والعشق في اللغة الأردية، مخططاً لمنهاج جديد في مجال التعليم، وأفضلَ فارسٍ في مجال التأليف والكتابة العلمية في لغتنا، أليسَ ما قام به شبلي من عمل وإنتاج في عمره القليل، ورغم ضعفِ صحته آيةً من الآيات ومعجزةً باهرة من المعجزات؟!!»[1].

ويقول الشيخ إكرام: «قد مضى على وفاة شبلي خمسة وأربعون عاماً، ولكنّ صوته لا يزال مسموعاً، أما عليكره فقد يسودها جمودٌ في مجال العلم والتأليف».

الاطلاع على البحوث والدراسات العلمية الغربية:

كانت الكلية مجمعاً لأساتذة الشرق والغرب، وكانوا يتبادلون بينهم أحدثَ ما وصلت إليه المعارف والبحوث والدراسات، فكأنّه أتيحتْ له الفرصة للاطلاع على أفكار الغرب وبحوثه ودراساته العلمية، وساعدته على ذلك مكتبة السيد أحمد خان، وحظيَ بوجود الأستاذ آرنولد في الكلية، يقول الأمير العالم حبيب الرحمن خان الشرواني أحد المؤسسين لندوة العلماء:

---

(١) موج كوثر، ص٢٣٤.

ومن سعادة حظّ العلامة شبلي النعماني أنّه عاصره في الكلية الأستاذ الباحث البروفيسور (آرنولد) فامتزجَ هذان العالمان المغرمان بالعلم امتزاجَ أشعة الضوء المختلفة الألوان التي تنشر النور في العالم، أَطْلعَ البروفيسور آرنولد العلامة شبلي على مبادئ الثقافة الحديثة وأسسها، ووسائل المجلس العلمي الغربي وأسبابه والاعتراضات والشبهات والمطاعن الموجهة نحو العلوم القديمة، وكان من ثبات العلامة شبلي النعماني وقوته العقلية أنه لم يبهره بريقُ المبادئ الحديثة، بل أعمل فكرَه فيها بهدوء ورزانة، وأخذَ بالصالح منها، بل اتخذه رائداً لحياته، ورفض المظاهر الجوفاء.

وأما البروفيسور آرنولد فدرسَ اللغة العربية على العلامة شبلي، واستفادَ منه في الجوانب المضيئة من التاريخ الإسلامي وتاريخ الدعوة الإسلامية، الأمر الذي حدا به إلى تأليف كتاب (تاريخ الدعوة إلى الإسلام).

وتعلم العلامة شبلي اللغة الفرنسية من البروفيسور آرنولد»[١].

وكان لشبلي مصدر آخر للاطلاع على الكتب المطبوعة بأوروبة ومؤلفات علمائها، وذلك بواسطة صديقه السيد (علي البلكرامي) علامة اللغات العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات، المقيم في حيدر آباد، فقد كان له اتصال مباشر بعلماء أوروبة ومؤلفاتهم،

---

(١) حياة شبلي، ص١٣٩.

وكانت خزانته حافلةً بمعارفها، فاستفاد منها شبلي استفادةً كبيرة، وأهدى السيد علي البلكرامي إليه كثيراً من الكتب المطبوعة بأوروبة التي لم تزل في خزانته حتى وقفها على (دار العلوم) لندوة العلماء، وكان من بينها نسخة (الفهرست) لابن النديم.

ولما اشتهر أمره وذاع صيته أنشأ علماء أوروبة صلاتهم العلمية به، وبدؤوا يهدون إليه الكتب المطبوعة بها.

الذوق التاريخي:

يعتبر العلامة شبلي النعماني رائد فلسفة التاريخ في العصر الحديث في الهند، ويدينُ في ريادته هذه لكلية (عليكره) فلم يكن ذوقه التاريخي بارزاً قبل اتصاله بعليكره، ولما وصل إلى الكلية نمَّى ذوقه التاريخي وهذبه، وأضفى عليه لون الفلسفة، ولعلّ مرد ذلك إلى اطلاعه على كتاب الدكتور G. W. Laitnen عن التاريخ الإسلامي، وكان مؤسساً وأستاذاً للكلية الشرقية بلاهور وعالماً باللغتين العربية والفارسية، وكان العلامة شبلي يطالع هذا الكتاب ويفرح معجباً بمآثر التاريخ الإسلامي.

واطلع خلال إقامته بعليكره على مكتبة السيد أحمد خان الحافلة بالكتب الفريدة النادرة من الجغرافية والتاريخ الإسلامي والعربي المطبوعة في أوروبة ومصر والشام وإستانبول، ومن هنالك ابتدأ عهداً جديداً لدراسته للتاريخ الإسلامي.

ذوق في التأليف:

كان شبلي مطبوعاً على نمط من التأليف، وكان من قبلُ قد طبعت له رسالة (إسكات المعتدي) ورسائل أخرى، ولكن لما وصل إلى عليكره تهذّب ذوقه في التأليف وذلك ـ كما قدمنا ـ بفضل مكتبة السيد أحمد خان، وكان السيد أحمد خان قد أذن له بالاستفادة من مكتبته، فكان يقوم أمام الرفوف ساعات، وقد يجلس على الأرض مفترشاً رجليه، فلما رأى السيد أحمد خان ذلك أمر له بمقعد يجلس عليه، ويطالع الكتب، يقول شبلي: «نشأ فيَّ ذوق للكتابة والتأليف بمطالعة الكتب التاريخية المطبوعة في أوروبة، وظفرت بها مجتمعة في مكان لم أطّلع عليها من قبل»[(١)].

الشعور بالحاجة إلى الثقافة الإنكليزية:

وكان من فضل إقامته بعليكره أنِ اتضحتْ له ضرورةُ الثقافة الإنكليزية، فاسْتَلْفَتَ أنظار أقربائه، واسترعى انتباههم نحوها، وأسس مدرسةً إنكليزيةً في بلده (أعظم كره) في ٢٠ يونيو ـ حزيران سنة ١٨٨٣م، وإنّما أدخلت مادة اللغة الإنكليزية في مقررات المنهاج الدراسي لدار العلوم لندوة العلماء بمتابعته وإلحاحه سنة ١٩٠٣م.

---

(١) حياة شبلي، ص١٣٧.

رأيه في الثقافة الحديثة :

كان العلامة يسمع عن الثقافة الحديثة ومحاسنها ومثالبها وهو بعيد عنها وعن مراكزها، ولكن لمّا وصل إلى عليكره تهيأت له الفرصة أن يشاهدها عن كثب، ويختبر ما فيها من محاسن ومثالب، كتبَ بعد إقامته بعليكره بأشهرٍ رسالةً إلى عزيزٍ له يقول فيها :

«قد تأكد لي وتحقق عندي أنَّ الطبقة المثقفة بالثقافة الإنكليزية ودراسة اللغة الإنكليزية طبقة فارغة، دعِ الدينَ وعلومَه وشعائرَه، لا عهدَ لها كذلك بسعة الفكر وتنوره، والحرية الصادقة، والطموح والهمة العالية، وحماس الرقي والتقدم، ليس هنا إلا معرض للملابس والمظاهر الجوفاء، كان الناشئون في بلدنا يزعمون لنا أنَّ الفائزين بدرجة البكالوريوس يفنّدون المعتقدات الدينية، ويدحضون المُسَلَّمَات الإسلامية، إنَّ هؤلاء البؤساء المساكين لا يفهمون حركة الأرض ودورانها، وقد قال لي السيد أحمد خان غير مرة : إنّه ليس بين المسلمين المثقفين بالثقافة الإنكليزية الحديثة شخصٌ واحد يقدم رأياً له أو فكرةً في محفل من المحافل خطابةً أو كتابةً»[١] .

يتبين من هذا الانتقاد الحر الواضح الصريح أنَّ بريق الثقافة

---

(١) مكاتيب شبلي : ١/ ٥١ .

الحديثة والحضارة الغربية المادية لم يبهر عينيه، ولم يسلبه لحظة واحدة بصيرته في التمييز بين الحق والباطل، الأمر الذي يدلّ على أنّ العلامة شبلياً إنما أخذ من الثقافة الحديثة جانبها النافع للبشرية من علومها ومعارفها التجريبية، ثم ضمّه إلى التراث القديم الصالح، وفكره هذا المعتدل المتزن المتّسم بالدقة والشمول يتجلّى واضحاً في المنهج الذي تبنته دار العلوم لندوة العلماء.

وكان العلامة شبلي النعماني يحمل عقلاً كبيراً ودراسة عميقة للإسلام وتاريخه، فلم يقبل من السيد أحمد خان آراءه الشاذة التي تعارض المعتقدات الإسلامية والأسس الدينية، بل انتقدها انتقاداً حرّاً أداءً للفريضة الدينية والخلقية التي تعوّد عليه.

يقول صديقه الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني: «كان من صدق العلامة شبلي وقوته العقلية أنَّ مظاهر التجدد البراقة لم تبهر عينيه، وإنّما درسها برويّةٍ فأخذ صالحها، وردَّ قشورَها».

وكان من سعادة حظّه أنْ وفقه الله تعالى خلال هذه المرحلة لزيارة للبلدان الإسلامية فأكسبته تجارب واسعة ونضجاً في العقل والفكر.

* * *

الفصل الثاني

رحلته إلى البلدان الإسلامية

لم يوافق العلامة شبلياً مناخُ عليكره، وهجم عليه داءُ الملاريا سنة ١٨٩٢م، ولزمه المرض ثلاثة أو أربعة أشهر، فخطر بباله تغيير الجو، لعل ذلك يؤثر في صحته تأثيراً إيجابياً، فأراد أن يقضي إجازةَ الصيف في كشمير التي تعتبر جنة الهند، ثم اطلع على أنّ زميله الأستاذ آرنولد سيغادِرُ الهند إلى وطنه لقضاء الإجازة، فاغتنمَ الفرصة، وأراد أن يرافقه في السفر، ويزور البلدان الإسلامية، ويتخذ برنامجاً لجولة في بلاد الشام ومصر وتركية، وبذلك يستطيع أن يقضي جزءاً من رحلته مع الأستاذ، وتتحقق أمنيته القديمة لزيارة هذه البلدان، فغادر عليكره في ٢٦ أبريل - نيسان سنة ١٨٩٢م ورجع إلى الهند في نوفمبر - تشرين الثاني سنة ١٨٩٢م وقد زار القسطنطينية وبيروت وبيت المقدس والقاهرة.

لم تكن رحلته هذه رحلة سياحية ترفيهية وترويحية فحسب، بل كانت وراءها عواملُ ونوازعُ علمية وتعليمية وسياسية، وهذه النواحي الثلاث لعبت دوراً كبيراً في تكوين مساره العقلي ونهجه الفكري.

زادت هذه الرحلةُ من كراهيته للإنكليز، وتذمره منهم، وحبه للترك وإجلاله لهم، فأمّا من الناحية العلمية، فإنّ زيارته لمكتبات القسطنطينية والقاهرة فسحتْ مجاله الفكري، وزودته بدراسات علمية جديدة، واطلع على كتب قيمة نادرة مطبوعة وخطية من العلوم والفنون المختلفة، ثلج بها صدره، وقرّت عيناه، وحمل معه مقتبسات لبعض كتبه التي كان بصدد تأليفها.

وأما من الناحية التعليمية فقد كان لرحلته هذه آثار بعيدة المدى، ساعدت هذه الرحلة في تدعيم رأيه بأنّ المسلمين يحتاجون إلى منهاج دراسي جديد، يجمعُ بين العلوم القديمة والعلوم الحديثة جمعاً متزناً عادلاً، فإنَّ القديم وحدَه لن يساير الزمان، وإنَّ الحديث وحدَه يفصل المرء عن الدين والإيمان.

وكذلك آلم العلامةَ ما شاهد من أوضاع المسلمين المتدهورة وانحطاطهم المشين، فقد كتب إلى والده من القسطنطينية: «قد خابت آمالي في تقدّم المسلمين، فإنّ وضعهم هنا لا يختلِفُ عن وضعهم في الهند، غير أني لا أنكر فضل هذه الرحلة وقيمتها، إنَّ الأثر الذي تركته هذه الرحلة في قلبي لم أكن لأوفّقَ إليه بدراسة الألوف من الكتب، أسفاً على أولئك الذين يعيشون حياتهم في حجرة مغلقة أو برج من العاج»[١].

---

(١) مكاتيب شبلي: ١/ ١٣.

كان يرى إصلاح المنهاج الدراسي خطوة أولى لتقدم المسلمين، ولكن مما آلمه أنّ المدارس كان قد أصابها الجمود والعقم في القسطنطينية ومصر والشام كذلك، فيقول في رحلته: «إنّ الذي سلبني السرورَ في هذه الرحلة هو انحطاط هذا المنهاج الدراسي القديم، وما أصابه من البلى، كنّا نصبرُ في الهند نظراً إلى أنّ النظام الذي لا تتولاه الحكومة من الطبيعي أن يضيع، ولكن أخذت بالدهشة والحسرة والألم حين شاهدتُ الأمر نفسَه في القسطنطينية والشام ومصر»[1].

وكان شعوره هذا هو الذي تجسّدَ في صور نظام (ندوة العلماء) وخطة (دار العلوم) ومنهاجها التعليمي فيما بعدُ، يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «كل من طالع خطة دار العلوم هذه التي رسمها رحّالةُ بلاد تركية ومصر والشام تجلّى له أنَّ ما أحسّ به خلالَ رحلته حاولَ رسم صورته في الهند»[2].

الوسام المجيدي:

وفي هذه الرحلة أُكرِمَ بالوسام المجيدي في الرابع عشر محرم الحرام سنة ١٣١٠ من الهجرة، يقول في رحلته: «كنت قائلاً في بيتي

---

(١) رحلة شبلي، ص٧٨.

(٢) حياة شبلي، ص٢١٧.

يوماً عند الظهيرة إذ جاءني صديقٌ لي يسعى وأيقظني وقال: يا شبلي والله لقد طلع لك النيشان، فعجبتُ من ذلك، وقلت له: «من أين لك هذا؟ فقال: قد نشرتْ ذلك جميعُ الصحف والجرائد، ثم جاءني أحبتي يرحبون بي، وذهبت إلى الباشا للقاء الأخير، فرحب بي، ومنحني الوسام المجيدي»[1].

فلما رجع إلى الهند أراد أن يستعملَ هذا الوسام، ولكنّ الحكومة الإنكليزية منعته من ذلك طبقاً لقانونها المعلن في ٢ مايو ـ أيار سنة ١٨٨٦م، وأخيراً سُرِقَ وسامَه هذا، فلم يتبيّن أكانت هذه السرقة سياسية أم خلقية؟[2].

خطاب شمس العلماء:

ورجع العلامة شبلي النعماني إلى الهند وقد منحته الخلافة الوسام المجيدي الرسمي، فأحسَّ السيد أحمد خان أنّه مما يزري بالحكومة الإنكليزية في الهند أن لا تكرّم العلامة شبلي بوسامها الرسمي، وقد أكرمته به الحكومة التركية، فلمّا اطلعت الحكومة الإنكليزية على ذلك أكرمته بخطاب شمس العلماء سنة ١٨٩٤م.

---

(١) رحلة شبلي، مجلة ثقافة الهند، العدد الأول من المجلد ٤٣، ص١٣ ـ ١٤.
(٢) انظر: حياة شبلي، ص٢٨١.

وكان هذا أول خطاب أُكرمَ به أستاذ من أساتذة كلية (عليكره) وزملاء السيد أحمد خان، وكان لهذا الخطاب قيمة كبيرة في عيون الناس، وأكرم العلامة بهذا الخطاب ولم يتجاوز من العمر خمسة أو ستة وثلاثين عاماً، وكل ذلك جعل هذا الخطاب حدثاً تذكارياً كبيراً، فعقدت حفلات كبيرة للترحيب به، وألقيت الخطب إشادة به، وكتبت إليه رسائل ترحيبية من أحبته وزملائه، ونشرت المقالات في المجلات.

وكان في الكلية مجلسان علميان، (إخوان الصفا) و(لجنة الأدب) فعقدا حفلة ترحيبية في ٩ يناير ـ كانون الثاني سنة ١٨٩٤م، وكان العلامة شبلي عضواً أساسياً في المجلسين، حضر في هذه الحفلة كبارُ أساتذة الكلية منهم: السيد أحمد خان، والسيد محمود، والأمير محسن الملك، ومولانا ألطاف حسين حالي، والأمير مزمل الله، والأستاذ آرنولد، والقاضي السيد كرامت حسين.

قدّم فيها المولوي بهادر علي قصيدة باللغة العربية للمولوي داود في لهجته العربية:

حمــداً لِمَــنْ جَعَــلَ النّجــومَ درارِيــاً
والشَّمْــسَ نــوراً للحنــادِسِ مــاحيــا
أشــرقــتَ شمســاً مــن سمــاءِ معــالــمٍ
لتمـــدَّ أقمـــارَ العُـــلا بمعـــاليـــا

أضحـى بفيضِـكَ روضُ علـمٍ نـاضـراً
مِـنْ بعـد أن قَـدْ كـانَ دَهْـراً ذَاوِيـا
لا غَـزْوَ لـو أدعـوكَ روحَ زمـاننـا
تحيـي لعلـمِ الـديـنِ عظمـاً بـاليـا
عـلامـةٌ مستنبـطٌ مـن آيـة الـ
ـقـرآنِ سِـرّاً خـافيـاً ومَعَـانِيـا
حينـاً يحبِّـرُ فـي العلـوم رسـائـلاً
حينـاً يشيِّـدُ للفنـونِ مَبَـانِيـا
وهـو الّـذي شَـرَحَ المهيمِـنُ صـدرَه
فغـدا لأنبـاءِ المعـارفِ تـاليـا
للهِ دَرُّ مـدرّسٍ تـدريسُـه
سيـلٌ أتـى وقـد تغَشَّـى وادِيـا
سحبـانُ وقـتٍ لا يشـقُّ غبـارهُ
مَـنْ كـانَ للفـردِ الـوحيـدِ مُجَـارِيـا
قُـسُّ الفصـاحـةِ لا يُنـالُ مقـامُـه
مَـنْ كـان للشَّمْـسِ المنيـرةِ ثـانيـا
إن قـال فـي العـربـيِّ شعـراً فـاق (حـ
ـسـانـاً) وفـي العجمـي فـاق (القـانيـا)

قـد يخلـبُ الألبـابَ سِحْـرُ بيـانِـهِ
إذْ مـا تصـدّى خـاطِبـاً أو شـادِيـا
هـوَ خِضْـرِمٌ[1] الأخبـارِ غيـرُ مُسَـاحَـلٍ
يُعْطِـي الـوَرَى مـرجـانـةً وَلآليَـا

ثم ألقى المولوي نذير أحمد خطبةً باللغة العربية وهي :

«يا أيها السادة الكرام! يشقُّ عليَّ أن أقرعَ آذانكم بعدَ إذْ فرغنا من تنقُّل الفواكه الشهية، والألوانِ اللطيفة، وكيفَ يمكِنُ لي أن أمدّ فضائلَ مولانـا المكرّم ، وأ حصي محامـدَه، ما لي أن أقـول: إنّـه سحبان في الفصاحة، ومالي أن أقول: إنه قُسٌّ في البلاغة، ومالي أن أقول: إنه قاآني في سلاسةِ لسانه ولطافةِ نظمه، بل أنشد هذا الشعر للمتنبي إذ قال :

خُـذْ مـا تـراهُ وَدَعْ شيئـاً سَمِعْـتَ بـهِ
فـي طَلْعَـةِ الشَّمْـسِ مـا يُغْنِيْـكَ عـنْ زُحَـلِ

تفتخر اللجنة الأدبيـة بأنّ أعظم أركانها، بل بـانيها لُقِّبَ بشمس العلماء، وتهنّئه الآن بهذا الإعزاز والإكرام، وأختِمُ كلامي بشكر السادة الذين شـرّفونا بقدومهم، والذين كرّمونـا باللطف والإحسـان، وإنّ الله لا يضيعُ أجرَ المحسنين».

---

(١) البحر الغطمطم، والبئر الكثيرة الماء، والجواد المعطاء (القاموس).

ثم قدّمَ في هذه الحفلة العلامة حميد الدين الفراهي قصيدتَه باللغة العربية قال فيها:

يـا خَيْـرَ مَـنْ يَسْمُـوْ إلـى العليـاءِ
كـالشَّمْـسِ بـازغـةٍ بِـوَسْـطِ سمـاءِ
فقَـدْ كُنْـتَ قُـدْمـاً للمعـالـي سـاميـاً
أُورثتَـهُ عَـنْ شِيْمَـةِ الآبـاءِ
فلئِـنْ سَمَـوْتَ إلـى المكـارمِ والعُلَـى
فَلَقَـدْ نشـأتَ بعـزّةٍ قَعْسـاءِ
فـلأنـتَ بـالعَـزَمَـاتِ سيـفٌ صـارِمٌ
ولأنـتَ بـرقٌ لامـعٌ بـذكـاءِ
قـد أمحلـتْ أرضُ العلـومِ وأصبحـتْ
عَـرَصَـاتُهـا كسمـائـق البيـداءِ
لعبـتْ بهـا هُـوْجُ الـريـاح تنـوبهـا
مِـنْ كـلِّ عـاصفـةٍ مـن النكبـاءِ
فظللـتَ تمطِـرُهـا بسـحٍّ واكـفٍ
صَـوْبِ الـربيـع بـديمـةٍ هطـلاءِ
فَـرَبَـتْ ريـاضُ العلـمِ منـك ونـوّرتْ
مهتـزةً بغصـونهـا الخضـراءِ

علّمتنـــا سُبُـــلَ الـــرشـــادِ وإنّمـــا
كُنّـــا كخـــابـــطِ ليلـــةٍ ليـــلاءِ
كنّـــا بِمَهْمَهَـــةٍ يُخـــافُ بهـــا الـــرّدى
فهـــديتنـــا لِمَحَجَّـــةٍ بيضـــاءِ
ولأسئلـــنَّ الله طـــولَ بقـــائكـــم
فـــي كـــلِّ بكـــرتنـــا وكـــلِّ عشـــاءِ

وقدّمَ مولانا ألطاف حسين حالي في آخر هذه الحفلة قصيدةً عنوانها: (من الحبيب إلى الحبيب) جاء فيها:

يـــا وحيـــداً مـــن الكـــرامِ فـــريـــدا
وعـــزيـــزاً كمثـــل عِلْـــق نفيـــسِ
أنـــتَ أولـــى بـــأن تلقّـــبَ شمســـاً
بـــل بـــأن يجعلـــوك شمـــس الشمـــوسِ
أنـــتَ شمـــسُ الهـــدى ولســـتَ بشمـــسٍ
يعتـــريهـــا الخنـــوسُ بعـــدَ خنـــوسِ
أنـــتَ طهـــرت ذيـــلَ ديـــنٍ مبيـــنٍ
لـــوّثتـــه اللئـــامُ بـــالتـــدليـــسِ
ثـــم دافعـــتَ عـــن إمـــامٍ تقـــي
كـــانَ بعـــدَ النبـــيِّ خيـــرَ رئيـــسِ

وعـــنِ الحـــقِّ قـــد كشفـــتَ غطـــاءً
بعـــدمـــا أغلقـــوه بـــالتلبيـــسِ
ســـرتَ فـــي الأرضِ بـــرّاً وبحـــراً
للمعـــالـــي لا لأمـــرٍ خسيـــسِ
وجعلـــتَ الكمـــالَ غـــايـــةَ هـــمٍّ
واتخـــذتَ الكتـــابَ خيـــرَ جليـــسِ

* * *

الفصل الثالث

اتصاله بإمارة حيدر آباد

وبعد أربعة أشهر تقريباً من عودة العلامة شبلي النعماني من زيارة البلدان الإسلامية أُسست ندوة العلماء، وكانت أهدافُها تتفق مع المشاريع التعليمية التي خططها خلال رحلته وتجاربه العلمية والتعليمية الطويلة، فشارك في أعمالها ودعم نشاطاتها مشاركةً فعالةً، حتى أصبحت حركةُ ندوة العلماء عبارة عن شخصه ودعوته إلى الفكرة التعليمية الإصلاحية.

وتدين ندوة العلماء في جميع إصلاحاتها في مناهج التعليم لمجهوداته ومساعيه، وفكره المتزن العادل الدقيق، ولولا العلامة شبلي لكانت ندوةُ العلماء كغيرها من المؤسسات والمعاهد التعليمية القديمة فارغةً من أيِّ رسالةٍ ومن أيِّ حيوية ونشاط، وسنتحدث عن كلٍّ ذلك إن شاء الله تعالى في فصل ندوة العلماء.

ولم تبقَ الآن للعلامة شبلي أيُّ رغبة في كلية (عليكره) ونشأ في قلبه أن تجري له إمارة حيدر آباد راتباً شهرياً فيقطع صلته بكلية عليكره، ويقف حياته على خدمة العلوم الإسلامية وشؤون المسلمين التعليمية، فرحل إلى

حيدر آباد في أغسطس ـ آب سنة ١٨٩٦ م ، وكانت له صلات قريبة بالمولوي السيدعلي البلكرامي ، فشفع له إلى الأمير مير محبوب علي خان ، فأجرى له راتباً شهرياً مقداره مئة روبية في سبتمبر ـ أيلول سنة ١٨٩٦ م .

وكانت إقامتُه بحيدر آباد مصدرَ خيرٍ وبركة لتلك البلدة وأهاليها ، فرحّب به علماؤها وأمراؤها ، وأكرموا مثواه ، وعقدوا حفلات أشادوا فيها بفضله وعلمه وخدماته الجليلة .

وحصل من كلية عليكره على إجازةٍ لسنة واحدة من ديسمبر ـ كانون الأول سنة ١٨٩٦ م إلى نوفمبر ـ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ م وبعد انتهاءِ هذه الإجازة حصلَ على إجازة أخرى لستة أشهر في مايو ـ أيار سنة ١٨٩٨م وأخيراً استقال منها .

وبعد أن قطع صلته بكلية عليكره واجهته مشاكل ومصاعب شتى ، عاش معظم أجزاء سنتي ١٨٩٨م و١٨٩٩م يعاني السقم والمرض ، وتوفي أبوه إلى رحمة الله في نوفمبر ـ تشرين الثاني سنة ١٩٠٠ م ، ورَفَعَت مشاكل أهلية وعائلية رأسَها ، وأهمّه كلُّ ذلك ، وشغل باله ، فسافر مرّةً أخرى إلى حيدر آباد في فبراير ـ شباط سنة ١٩٠١ م حيث عُيّنَ أميناً عاماً لقسم المعارف في ٢٢ مايو سنة ١٩٠١م براتبٍ قدرُه أربعمئة روبية شهرياً ، ولازم هذه الوظيفة إلى فبراير ـ شباط سنة ١٩٠٥م وألّف خلال هذه الفترة كتبه المعروفة (الغزالي) و(علم الكلام) و(الكلام) ، و(الموازنة بين أنيس ودبير) .

* * *

الفصل الرابع

حركة ندوة العلماء

أنشئ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر معهدان علميان إسلاميان في الهند: مدرسة العلوم بعليكره، ومدرسة دار العلوم بديوبند.

أما الأولى فقد انجرفت مع تيار الحضارة الغربية، ولم يكن المشرفون عليها يرون سبيلاً لتقدم المسلمين إلا أن يتطفلوا على مائدة الغرب، ويصبغوا نفوسَهم ونفوسَ الأجيال المسلمة الناشئة بحضارته وثقافته.

وأما الثانية فقد تمسّكت بالقديم، واعتبرت مخالفةَ شيءٍ منه مروقاً من الدين، فكان هذان المعهدان على طرفي نقيض.

وكانت الحاجة ماسة إلى منهج وسط عادل متزن، متصلّب في العقيدة ومبادئ الدين، ومؤمن إيماناً راسخاً بالقرآن الكريم، وما جاء به النبيّ محمد ﷺ من المحجة البيضاء، والشريعة السمحة العادلة، ومنفتح

على الحضارة الإنسانية الحديثة والعلوم التجريبية التي ليست إلا اكتشافاً لما أودع الله هذا الكون الهائل من الإمكانات والوسائل، التي تيسّر للإنسان أداء واجباته نحو خالقه والحياة والكون، وهذه الحاجةُ هي التي قادت علماء المسلمين وزعماءهم إلى أن يُعنوا بتأسيس هيئة للعلماء لتقومُ بإصلاح أحوال المسلمين في جميع نواحي الحياة الدينية والاجتماعية والعلمية والتعليمية.

اجتماع مدرسة (فيض عام):

عقد اجتماع للعلماء في مدرسة (فيض عام) ببلدة كانبور بمناسبة توديع الطلاب المتخرجين في نهاية العام الدراسي سنة ١٨٩٢م، فناقشوا فيما بينهم وضعَ المسلمين في الهند، وأسسوا هيئة ندوة العلماء.

والعلماء الذين حضروا هذا الاجتماع هم:

١ ـ أستاذ الأساتذة الشيخ الكبير مولانا محمد لطف الله العليكري.

٢ ـ الشيخ الحافظ الشاه محمد حسين الإله آبادي.

٣ ـ مولانا الشيخ محمد خليل أحمد المدرس بدار العلوم ديوبند، ثم بمدرسة مظاهر العلوم بسهارنبور.

٤ ـ مولانا الشيخ ثناء الله الأمر تسري.

٥ ـ مولانا الشيخ نور محمد البنجابي المدرس بالمدرسة الإسلامية بفتحبور.

٦ ـ مولانا أحمد حسن الكانبوري المدرس الأول في مدرسة (فيض عام) بكانبور.

٧ ـ العلامة الشيخ الداعية الكبير المربي الجليل محمد علي المونكيري (الرئيس الأول لندوة العلماء).

٨ ـ مولانا الشيخ محمد ظهور الإسلام الفتحبوري.

٩ ـ مولانا الشيخ الكبير والمربي الجليل محمد أشرف علي التهانوي.

١٠ ـ مولانا محمود حسن المعروف بشيخ الهند.

١١ ـ مولانا الشاه سليمان البلواروي.

١٢ ـ مولانا عبد الغني خان الرشيد آبادي.

١٣ ـ مولانا الحكيم فخر الحسن الكنكوهي.

١٤ ـ مولانا السيد الشاه الحافظ تجمل حسين.

وعين الشيخ العالم الرباني محمد علي المونكيري أولَ رئيسٍ لهيئة (ندوة العلماء) وألقيت عليه مسؤولية عقد أول اجتماع لندوة العلماء(١).

---

(١) انظر: تاريخ ندوة العلماء: ١/ ٩٥ ـ ٩٧.

الاجتماع الأول لندوة العلماء:

وعُقِدَ أول اجتماع لندوة العلماء بمدرسة (فيض عام) في بلدة كانبور في ١٥ ـ ١٧ شوال سنة ١٣١١هـ الموافق ٢٢ ـ ٢٤ أبريل ـ نيسان سنة ١٨٩٤م، حضره العلماء المسلمون من المدارس الفكرية والمذهبية المختلفة نابذينَ خلافاتهم وراءَ ظهورهم.

ووافقت دعوةُ (ندوة العلماء) خِطّةَ العلامة شبلي لإصلاح أحوال المسلمين في النواحي العلمية والتعليمية، فأجابها مبادراً إليها، وكأنّ هذه الحركة بضاعته التي رُدّت إليه، فشارك في اجتماعها الأول مخلصاً لها ولأعمالها.

وفي هذا الاجتماع الأول قدّمَ العلامة شبلي النعماني خِطّةً لأعمال ندوة العلماء فحوّلت إلى لجنة لدراستها والنظر فيها.

وعقدت جلسة خاصة لدراسة خطة ندوة العلماء حضرها ثلاثون شخصاً من العلماء الكبار والأمراء العظام، إذا قرأ العلامة شبلي عليهم بنداً من الخطة تناولوه بالنقاش، ثم وافقوا عليه، حتى تمّتِ الموافقةُ على جميع بنود الخطة.

وفي إحدى جلسات هذا الاجتماع قام العلامة شبلي بتقديم بعض المقترحات للمناقشة والدراسة، جاء فيها:

١ ـ إنَّ المنهاج التعليمي السائد في جميع أنحاء الهند يستحقُّ إصلاحاً جذرياً.

٢ ـ أن ينتدب مدراءُ جميع المدارس الإسلامية أو وكلاؤهم أو ممثلوهم كل عام في اجتماعات ندوة العلماء[١].

المنهاج التعليمي:

ركّزت ندوة العلماء منذ أول يوم من تأسيسها على إصلاح المنهاج التعليمي، فقد قدم مولانا الشاه محمد حسين الإله آبادي اقتراحَ إصلاح المنهاج التعليمي في الاجتماع الأول، وأعربَ عن رأيه وفكره بكلِّ دقةٍ وشمولٍ، ثم ألقى العلامة شبلي النعماني خطبةً علميةً حول تطور المنهاج التعليمي عبرَ العصور منذ العهود الإسلامية الأولى إلى أن سادَ المنهاجُ النظامي[٢]، المنهاجُ الذي وضعه الملا نظام الدين الفرنكي محلي اللكنوي، وسنعرضُ بشيءٍ من التفصيل مفاسدَ هذا المنهاج ومثالبه وعيوبه.

ثم أُلفت لجنة من اثني عشر عالماً من العلماء الكبار لدراسة المنهاج التعليمي وصياغته صياغة جديدة، وكان من أبرزهم العلامة شبلي

(١) انظر: تاريخ ندوة العلماء: ١/ ١٠٣ ـ ١٠٧؛ وحياة شبلي، ص٣٠٥ـ٣٠٩.
(٢) انظر: حياة شبلي، ص٣٠٩.

النعماني، وألّفَ بعضُ هؤلاء العلماء رسائل أبدوا فيها آراءهم وأفكارهم تجاه إصلاح المنهاج التعليمي، وأما العلامة فقد قدَّمَ خطةً شاملةً لتأسيس دار العلوم.

واختير في هذا الاجتماع ستةَ عشرَ عضواً للهيئة الإدارية لندوة العلماء، وبذلك تمّ تأسيسُ (ندوةِ العلماء)[١].

اجتماعات ندوة العلماء:

تتابعت اجتماعات ندوة العلماء في المدن المختلفة من الهند، وبرز شبلي فيها كعالم متزن، جامعٍ بين القديم والجديد، داعٍ إلى إصلاح المناهج التعليمية وحريصٍ على رفع مستوى المدارس الإسلامية العربية.

شارك في الاجتماعين الثاني والثالث لندوة العلماء، وأكد فيها على أهمية إصلاح المنهاج التعليمي، وتمّتِ الموافقةُ على تأسيس دار للعلوم تابعة لندوة العلماء في الثاني عشر من شهر أبريل ـ نيسان سنة ١٨٩٦م في الاجتماع الثالث لندوة العلماء الذي عُقِدَ في بلدة بريلي، وألقى العلامة شبلي خطبة شرح فيها أهمية (دار العلوم) والهدف من تأسيسها، وقرر أنْ تعقدَ لجنة باسم مجلس دار العلوم، ووضع العلامة شبلي قواعد هذا المجلس، وأرسل بها إلى الأعضاء.

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٣١٠.

يقول العالم الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني: «كانت خِطّةُ دار العلوم نتيجةً لفكر شبلي، والكتب التي أصدرتها ندوة العلماء عن دار العلوم كان قد دبجها يراعه»[1].

دار العلوم لندوة العلماء:

وعُقِدَ الاجتماعُ الخامس لندوة العلماء في ٨ـ٩ مارس ـ آذار سنة ١٨٩٨م، وقرر فيه أن يزورَ وفدٌ لندوة العلماء بلدة لكنؤ، يشتري بها أرضاً لدار العلوم، ويختارُ مكاناً تفتَتِحُ فيه دارُ العلوم شؤونها التعليمية، وكان العلامة شبلي أحدَ أعضاء هذا الوفد، فزار هذا الوفد الكريم لكنؤ، واختار مكاناً لدار العلوم (ندوة العلماء) افتتحت فيه شؤونها وأعمالها التعليمية.

صياغة المنهاج الدراسي الجديد وتطبيقه:

وكان تأسيسُ (دار العلوم) يعني تأسيسَ مدرسةٍ تطبِّقُ فيها ندوة العلماء فكرَها نحو إصلاح المناهج التعليمية، وكان العلامة شبلي النعماني هو العقل المفكر، والداعي المخلص الواقعي إلى التغيير الإيجابي البنّاء، وإصلاح النظام التعليمي، فقد كانت له تجاربُ طويلة في مجال التعليم، ولا سيّما أنّ إقامتَه بكلية عليكره، ورحلتَه إلى مصر

---

(١) مجلة (الأديب) العدد الخاص بشبلي، ص١٩.

والشام وتركية أكسبتاه تجربةً واسعةً عميقةً.

وأدرك العلامة السيد محمد علي المونكيري رئيس (ندوة العلماء) كفاءة شبلي النادرة، فاعتمد عليه، ووثِقَ به، يقول: «أنا مغرمٌ بكفاءة العلامة شبلي، وأنا أرى أنَّ النجاحَ لن يتحقق إلا بكفاءته وهمته»[1].

وكان العلامة ينوي أن يقيمَ في (دار العلوم) لندوة العلماء حتى يحقق حلمه في إصلاح المنهاج الدراسي، ويجسد فكره التجديدي، وقدّمَ لذلك عدة مقترحات، ولكن معظم أعضاء ندوة العلماء لم يسايروه في الإسراع إلى الإصلاحات، وتوانوا في الموافقة على مقترحاته، فأحسَّ أنهم لن يؤيدوا أيَّ تغييرٍ مهما كان إيجابياً، فكتب في إحدى رسائله إلى الأمير مولانا حبيب الرحمن خان الشرواني ـ وكان مطبوعاً على الاعتدال والاتزان، وجامعاً بين العلوم القديمة والصناعات الحديثة، ومحبباً لدى جميع الطبقات من العلماء ـ في ٢٨ سبتمبر ـ أيلول سنة ١٨٩٩م:

«إن كنتَ أنتَ وأعضاءَ الندوة تريدون أن أعملَ لندوة العلماء فما السبيل إلى ذلك؟ إنَّ المقترحات والخطط التي رسمتها لن يوافقوا عليها أبداً، إلا أن يرفعَ التحزّب يده، فما الفائدة إذاً من المجادلات والمنازعات، أعملِ الفكرَ والروية ثم ردّ على رسالتي هذه»[2].

---

(١) سيرة مولانا مونكيري، ص٢٨١.
(٢) رسائل شرواني، ص١٩.

ثم كتب إليه في ١٣ أكتوبر ـ تشرين الأول سنة ١٨٩٩م: «إن كنتَ تريدُ أن أعملَ للندوة وأخدمُها فإني ألتمسُ منك أن تزور لكنؤ، وتقيم بها نحو أسبوعين، سأضعُ أنا خطةً للعمل والمنهج، تستعرضُها أنتَ وتشيرُ عليَّ برأيك، ثم نقدّمها إلى الأعضاء يدرسونها ويناقشونها، ويطبَّق ما صدروا عنه جميعاً واتفقوا عليه، ولقد أرى أنه من الجريمة والإثم المشاركة في أعمال الندوة في وضعها الراهن، ومن المؤسف الغريب الباعث على العجب أنَّ كثيراً من كبار أعضاء الندوة يعتبرون هذا الوضع الراهن محطَّ آمالهم، ونهايةَ طموحهم، وغايةَ تفكيرهم، فكيف يستجيبون لي، وأنّى تنفَسِحُ صدورُهم لاقتراحاتي وآرائي؟ ومع ذلك فإنّي سأزور لكنؤ إن شاء الله تعالى إتماماً للحجة»[١].

اللغة الإنكليزية:

اقترح العلامة شبلي النعماني في اجتماع ندوة العلماء في أغسطس ـ آب سنة ١٨٩٩م أن تُضَمَّ اللغة الإنكليزية إلى مقررات دار العلوم، وعامةُ الناس وإن كانوا لا يعتبرون دراسةَ اللغة الإنكليزية كفراً وزندقةً، ولكنّهم كانوا يرونَ اشتغال العلماء بهذه اللغة جريمةً كبرى، واقترفَ العلامة شبلي هذه الجريمة، وأيّدَه في ذلك بعض العلماء، ولكنّ اقتراحه

---

(١) رسائل شرواني، ص٢٠.

لم ينل الموافقة بسبب معارضة بعض العلماء الشديدة، فسأل العلامةُ أن يسجِّلَ هذا الاقتراح ضِمْنَ جدول الأعمال، ولكن لما طبع الجدول لم يكن فيه أيُّ ذكرٍ لهذا الاقتراح.

لا شك في أنَّ حركة (ندوة العلماء) كانت تهدِفُ إلى أن تزيلَ العصبية وتجمع بين العلماء والمثقفين، والعلوم القديمة والصناعات الحديثة، ولكن معظم أعضاء ندوة العلماء انطلقوا نحو تطبيق برامجها في حذر وتأنّ، بينما نجدُ شبلياً يدفع هذه الحركة إلى الأمام بكلِّ قوةٍ ونشاطٍ، ومن دونِ أن يأخذه أيُّ تكاسلٍ أو إهمال، فركّزَ اهتمامه على إصلاح المنهاج الدراسي، وتجسيد فكرة دار العلوم، وتحقيق أهداف ندوة العلماء.

وقد واجه في ذلك معارضات من بعض العلماء الذين شاركوه في إخلاصهم لها، ولم يشاركوه في التحمّس والجهاد المضني، والعمل الدؤوب لها، وكل ما نشاهده من إصلاح وتطوير في منهاج دار العلوم ليس إلا منة لهذا العالم الجليل والعلم الشامخ، ولو أنَّ فكره طُبِّقَ تطبيقاً دقيقاً شاملاً لأحدثت دارُ العلوم ثورةً كبيرةً، وتغييراً جذرياً في مجال العلوم والآداب والفنون، ولكنّ أولئك العلماء العاملين معه أساؤوا به الظنَّ، فعارضوه منذ أول يوم، واتهموه بالكفر والزندقة، ورأوا في وجودِه في دار العلوم استقلاله بقيادتها، والانحراف بها عن مسالك

الصلاح والورع والتقوى إلى طغيان التجدد، فلم يقبلوه عن طواعية نفوسهم[1].

ولكنَّ العلامة صمد لهذه المعارضات التي تثبّطُ الهمم، واحتمل كلَّ طعن وتهمة، وواصل نضاله وكفاحه في سبيل إصلاح المنهاج الدراسي وتطويره، ونفخ الروح والحيوية فيه، حتى انتصرَ، وفوّضت قضيةُ إصلاح المنهاج الدراسي إلى مجلس خاص للعلماء في اجتماع (أمر تسر) سنة ١٣٠٩هـ، وجرت مناقشات طويلة، وكان النصرُ حليفَ العلامة، واتفق معظم الأعضاء على إجراء التعديل في المنهاج الدراسي النظامي الجامد.

ولكنّ المسؤولين في دار العلوم لم يطبقوا هذا القرار، وظلوا متمسكين بالمنهاج القديم، فكتب العلامة رسالةً إلى أمين مجلس المنهاج الدراسي مولانا حبيب الرحمن الشرواني يقول فيها:

«تسلّمت اليوم جدول مقررات دار العلوم لندوة العلماء، وفيه الكتب التالية: (شرح الملا جلال)، و(شرح الملا جامي)، و(فصول الأكبري)، و(الكافية)، و(الشافية)، و(الميبذي). . .

أخي! كيف نقوم بين يدي الله تعالى يوم الحساب إذا كانت الندوةُ

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٣٤٧.

تزعمُ أنّها تتخذ المبنى العتيق البالي لدار العلوم بديوبند قبلةً لها ووجهة؟ ألذلك اخترت رئيساً للجنة المنهاج الدراسي؟ لا شكَّ أنّه كان خلاف في بعض البنود، ولكن أينَ تلك الأمور التي اتفقنا عليها؟ ماذا يريدُ الأساتذة والمدرسون؟ واأسفاه، واأسفاه. . . »[1].

ثم كتب إليه في يوليو ـ تموز سنة ١٩٠٣م: «كتبتُ رسالةً معنِّفة إلى المدرّس الأعلى لدار العلوم، قلتُ فيها: لماذا تلحّون على تدريس المقررات القديمة؟ مالكم لا تدخِلون المقررات التي وافق عليها اجتماع (أمرتسر)؟ فردَّ علي بأنّه لم يطلع بعدُ على المقرّرات الجديدة، فلمَ هذا التغافل والإهمال يا أخي؟ لعلّك لم تبعث بالمنهاج الدراسي الجديد إلى دار العلوم لما فيه من بعض الخلافات، ولكن كان فيه أشياء اتفقوا عليها فما الذي منعك من أن تبعثَ بها؟ يا للعجب! الظلام مطبق، والغفلة سائدة، وأنتَ رئيس للجنة. . . ! أرسل إلى (دار العلوم) المنهاجَ المقرز وأوصِ أن يطبّقوه، ودعْ ما اختلفنا فيه»[2].

وكتب إليه مرّةً: «اكتب إلى مسؤول دار العلوم أنّه لا بدَّ من تقصير فترة الدراسة، إنّما يدخلُ في كلّ فنّ وعلم الكتب الشاملة لبحوثه، ولا تتخللها بحوث العلوم الأخرى، قل لي: إذا كانت الندوةُ تتبع آثارَ

---

(١) رسائل شرواني، ص٤٨.
(٢) المرجع السابق، ص٥٠.

ديوبند، وتحتذي حذوها في منهجها ونظامها فلماذا تُضَيّع ثروة القوم إذاً. . . ؟»[1].

كان المنهاج الدراسي النظامي حافلاً بكتب الفلسفة والمنطق الرتيبة الجافة، وكتب النحو التي يغلبُ عليها لون الفلسفة، وكتب البلاغة التي لا تنشئ في الطالب ذوقاً للأدب، ولا تنمّي ملكةً للبيان، فأراد العلامة شبلي أن تُطْرَدَ هذه الكتبُ الجانية على الطلاب، وتَحُلَّ مكانها كتب طبيعية بعيدة عن العجمة وجفاف الأسلوب، والكلمات الحوشية المستكرهة، ولا تمتزج بها جدليات اليونان العقيمة.

فكتب في ذلك رسالة إلى مولانا حبيب الرحمن خان الشرواني سأله فيها أن يُقصي: (الشافية) و(الكافية) و(شرح الملا جامي)، و(التلخيص) و(ديوان علي) و(مختصر المعاني)، و(ملتقى الأبحر)، و(الميبذي)، و(شرح العقائد) للنسفي، و(تصريح الأفلاك) و(الملا حسن) و(المير زاهد) و(الملا جلال) و(القاضي مبارك) و(الصدرا)، واقترحَ أن تدخل في المقررات: (هداية النحو) و(المفصل) للزمخشري، و(كليلة ودمنة) و(حسن التوسل في صناعة الترسل)، و(ديوان أبي العتاهية) و(المعلقات السبع) و(ديوان الحماسة)، و(إعجاز القرآن) للباقلاني، و(هداية المعاملات)[2].

---

(١) حياة شبلي، ص٣٩٣.

(٢) انظر: حياة شبلي، ص٣٩٥.

اجتماع مدراس:

عقد اجتماع (ندوة العلماء) السنوي في مدينة (مدراس) في ١٢ ـ ١٤ شـوال سنة ١٣٢١هـ الموافق ٣ ـ ٥ ينـاير ـ كانون الثاني سنة ١٩٠٤م شارك فيه العلامة شبلي، وترأس حفلته الرابعة، وألقى فيها خطبةً بليغةً استهوت قلوب المستمعين حول موضوعه الأثير الحبيب (الحاجة إلى دار العلوم).

وفي هذا الاجتماع قطعت مرحلة إصلاح المنهاج التعليمي، وكوّنـت لجنـة ثلاثيـة أعضاؤهـا العلامـة (شـبلي النعمـاني)، و(المـلا عبد القيـوم الحيدر آبادي)، والعلامـة (الشـريف عبد الحي الحسـني)، وقـررت أنَّ رأي العلامـة شـبلي هو القاطعُ إذا وقـعَ خـلافٌ، كما تمّـتِ الموافقةُ على إصدار مجلة شهرية باللغة الأرديـة باسـم (الندوة) تكون لسـان حال نـدوة العلماء، تحت إدارة العلامة شبلي النعماني والشيخ الأمير حبيب الرحمن خان الشرواني.

عقد العلامـة العزمَ على أن ينفذ المنهاج التعليمي الجديد في دار العلـوم، وأن يقيمَ بها أيـاماً، حتى يطلع على ما فيها من نـواحٍ مظلمـةٍ ومفاسدَ، وما هو السبيل إلى إصلاح الفساد ورتق الفتق، فكتبَ إلى مولانا حبيب الرحمن خان الشرواني في ٥ سبتمبر ـ أيلول ١٩٠٤م:

«يبدو أنّ ندوة العلماء تكادُ تصحو من سكرتها، وتفيقُ من غفوتها،

وتنتبه من سباتها، وإنَّ نفسي تحدثني أنْ أحصلَ على إجازة شهرين، وأقيمَ بلكنؤ، وأركّز اهتمامي على أمرين وتطبيقهما: إصلاح **المنهاج الدراسي**، **وإصدار المجلة**، كما ينبغي أن لا نتغافلَ عن تدابيرَ أخرى، ولكنَّ الشرطَ أن تزورَ لكنؤ، ولو لشهرٍ واحدٍ على أقل تقدير، فإني لا يمكنني أن أنجزَ عملاً وأجسّدَ فكرةً بدونك، إن كانت نفسُك ترضى بأن تقيمَ بدار العلوم على حساب أشغالك وشؤونك الشخصية فأجبني على الفور، وإلا فاعتزل عن الندوة، إنّ قدومي في هذا الوقت يسبب لي خسارةً كبيرةً فادحةً، فقد ينقص من راتبي، وتواجهني مشكلةُ انقطاع الوظيفة، ومشكلة الأهل، ولكنني سأضحّي بمصالحي، وأحتمل كلَّ هذه المشاكل والمصاعب، وإنّي سأقدّمُ كلَّ يومٍ مرّةً خلال إقامتي بدار العلوم محاضرةً حولَ موضوع من المواضيع على منهج المتقدمين»[1]، يعني به منهج الإملاء الذي ابتكره المحدّثون.

عمادة دار العلوم:

كان أعضاء ندوة العلماء قد طلبوا من العلامة شبلي النعماني سنة ١٩٠٣م أن يقيمَ بدار العلوم، ويتولّى عمادَة شؤونها التعليمية، واتفقتْ كلمتُهم على ذلك، فإنّه كان يمتازُ بينهم بتجاربه العلمية والتعليمية

---

(١) رسائل شرواني، ص٤٢.

الواسعة، ودراسته العميقة للعلوم القديمة والفنون الحديثة، وجمعه بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب، وبفضل هذا الجمع اتّسمت فكرته بالاتزان والعدل والدقة والشمول.

ولكن لم يتهيأ للعلامة أن يتولى عمادة الشؤون التعليمية إلا في ١٥ صفر سنة ١٣٢٣ الموافق لشهر أبريل ـ نيسان سنة ١٩٠٥م.

يقول الأستاذ (شمس تبريز خان) في حديثه عن بركات عمادته: «إن اختيار العلامة شبلي كعميد لندوة العلماء حدثٌ خطير في تاريخها، فقامَ في هذه الفترة بتطبيق منهاجه التعليمي الذي قام بإصلاحه، والذي كان من أهداف ندوة العلماء، وأدخلَ فيها تعليم اللغة الإنكليزية، وبعث كفاءات طلاب دار العلوم النجباء، وجلب الأساتذة الأجلاء واستخدامهم لها، وعُني بإجراءات مشروع الوقف على الأولاد، ونشر الدعوة الإسلامية، وإصدار مجلة (الندوة)، فذاع صيت حركة ندوة العلماء، وقوي أمرُها، وترسّخت جذورها، واستحكمت مباني دارها للعلوم»[1].

إقامته بدار العلوم:

غادر حيدر آباد إلى لكنؤ في نهاية سبتمبر ـ أيلول سنة ١٩٠٤ ونزل بمبنى دار العلوم القديم، وركّز جهوده على إصلاح المنهاج الدراسي،

---

(١) تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٥٠.

وإصدار المجلة، ورفع مستوى الطلبة العلمي، وتنمية ذوق الكتابة والتأليف فيهم، وبعد مدة قصيرة استقالَ عن وظيفته في إمارة حيدر آباد في نهاية سنة ١٩٠٤م، وبداية سنة ١٩٠٥م.

كانت إقامتُهُ بدار العلوم بدايةً لعهد جديد في تاريخها، وهنا قام بإعداد الرجال الذين تعتزّ بهم ندوة العلماء، يقول شيخنا الإمام الشريف أبو الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى: «كانت حركةُ ندوة العلماء يراودها شعورٌ قوي منذ فترة طويلة بأنْ تظفرَ برجل يتّسم بالانسجام الفكري مع أهدافها، والتجربة التطبيقية للتعليم والتدريس، والصلاحية الموفورة لبعث قُوَى الطلاب العقلية، وتنميتها في اعتدال، وإنشاء الذوق العلمي الصحيح فيهم، ويقيم في رحاب دار العلوم إقامة دائمة، ويتصل بأساتذتها وطلابها اتصالاً مباشراً، ويعمل كواسطة بينهم وبين الهيئة الإدارية، اختير العلامة شبلي عميداً لدار العلوم، فكان أنسبَ شخصٍ لهذه المهمة من أجل مسؤوليته الوظيفية، وكفاءاته الفذة الفريدة، وتفوقه العلمي البارز، فطلب منه أن يقبل هذه المسؤولية»[١].

موجة من السرور تكتسحُ دار العلوم:

لمّا عرفَ طلابُ دار العلوم لندوة العلماء أنَّ العلامةَ شبلي سيقيمُ

---

(١) حياة عبد الحي، ص١٦٠.

بدار العلوم إقامةً دائمةً، جرى فيهم تيار من الفرح والسرور، وعقدوا حفلاتٍ ألقوا فيها الخطب، وأنشدوا قصائد ترحيب به إعراباً عن مسرتهم.

يقول الإمام أبو الحسن علي الندوي رحمه الله تعالى: «جرى في الطلبة تيار جديد للحياة بإقامة العلامة شبلي في دار العلوم، وكانت شخصيتُه القوية الحبيبة منارةً للطلاب، فنشأ فيهم ذوق للدراسة والمطالعة والكتابة والخطابة، والتنوع في القراءة، والتوسع في المعارف، كانت مجالسُه الحافلةُ بمناقشةِ المسائل والشؤون العلمية.

وذكرِ الكتب والكُتّاب، والمباحثات الكلامية والتاريخية، وحلاوة الشعر والأدب تستهوي قلوبَ الطلاب النجباء، فأصبحَ الطلابُ الأذكياءُ الطامحون من بيوتات العلم والثراء من ولايتي (أترابراديش) و(بهار) الذين قصدوا دار العلوم كمدرسة جامعة بين العلوم القديمة والمعارف الحديثة مغرمين به، وموالين له، وكان العلامة يختص النابهين منهم بتربيته وعنايته، ويهتم بإنهاض هممهم، وبعث كفاءاتهم، فيكلِّف هذا بكتابة مقال، وهذا بإعداد خطبة، وذاك بالدراسة والمطالعة»[1].

تطبيق المنهاج الدراسي الجديد:

كان الهدف الحقيقي من وراء إقامته بدار العلوم إصلاح المقررات

---

(١) حياة عبد الحي، ص١٦١.

الدراسية القديمة والمنهاج التعليمي القديم، فكتب مقالات في (مجلة الندوة) وألقى الخطب في (دار العلوم) واجتماعات (ندوة العلماء) ولخّص العلامةُ مفاسدَ المنهاج التعليمي العربي القديم في نقاط تالية:

١ ـ إن العلوم المقصودة كالتفسير والحديث لم تنل حقَّها في هذا المنهاج، والمقررات حافلةٌ بالكتب الآلية من المنطق، والفلسفة، والنحو، فالغرضُ ـ على سبيل المثال ـ من تدريس النحو والصرف هو إيجادُ الأساس وتوفير الوسيلة لدراسة العلوم الأدبية والعربية، ولكنّ الاهتمامَ الذي يركز على تدريس مواد النحو والصرف لا يركز مثله على تعليم الأدب، وهذا هو الشأن في تدريس العلوم والفنون الأخرى.

٢ ـ المنهاج القديم حافلٌ بكتب الفلسفة والمنطق بوفرةٍ لا تبلغُها كتب التفسير والحديث والفقه والأصول.

٣ ـ معظمُ الكتب تشتبِكُ مباحثها بمباحث العلوم الأخرى، وتختلِطُ بها، فمثلاً كتب (حمد الله) و(المير زاهد) و(الملا حسن قاضي) كلها في فن المنطق، ولكنّها مليئةٌ بمسائل الفلسفة، فالطالب تواجهه معوقات وعراقيل في سبيل تركيزه على المنطق، ولا يمكنه الإلمام بهذا الفن.

٤ ـ إنَّ علم التفسير علم عظيم القدر، ولكن المقرر في هذا العلم ليس إلا كتابان: (تفسير الجلالين) و(تفسير البيضاوي) أمّا الأول فموجز

غاية الإيجاز، حتى إنَّ عددَ كلماته يساوي عدد كلمات القرآن الكريم، وأمّا تفسير البيضاوي فلا يُدْرَسُ منه إلا جزءان ونصف من أجزائه الثلاثين.

٥ ـ علم التوحيد والعقائد علم عظيم جليل، والمقرر فيه (شرح العقائد) للنسفي لا غير، وهو كتاب عادي لا قيمةَ له.

٦ ـ أكثر الكتب المقررة في المدرسة ليست مسائلها منقحة حتى تستقرَّ في الأذهان المسائلُ الأصلية، إنَّ استثارةَ الأسئلةِ والردودِ والاحتمالاتِ والتعليلاتِ والتأويلاتِ قد تسبّبُ إغلاقاً وإبهاماً بل وفوضى، حتى يظن الطالب أنّه وقع في حبالةٍ، أو تورّط في ورطةٍ.

٧ ـ هذه المقررات لا تضمُّ كتاباً من كتب المعارف الحديثة.

٨ ـ اللغة الإنكليزية مطرودةٌ منها(١).

ونظراً إلى هذه الأسباب ركّزت ندوةُ العلماء منذ البداية على إصلاح المنهاج الدراسي، ووجهت استشارات واستفتاءات إلى جميع علماء الهند، فورد (٢١) رأياً عن المقررات الدراسية، وطُبعت كلها ونُشرت، وكانت كلُّها متضاربة، فعقد اجتماع في شهر رجب سنة ١٣٢٠هـ الموافق لشهر أكتوبر ـ تشرين الأول سنة ١٩٠٢م في (أمرتسر)

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٤١٣ ـ ٤١٤.

شارك فيه العلماء الكبار، وقررت فيه مبادئ أساسية، ثم عقد اجتماع في شهر شوال سنة ١٣٢١هـ الموافق لشهر يناير ـ كانون الثاني سنة ١٩٠٤م في (مدارس) قرر فيه أن يضعَ العلامة شبلي والملا عبد القيوم الحيدر آبادي والعلامة الشريف عبد الحي الحسني منهجاً وفق المبادئ المقررة، فرتب ذلك المنهج، وكان الجزء الغالب فيه وفق تعديلات العلامة شبلي النعماني، واتّسمَ إعداد ذلك المنهج بالنقاط التالية:

١ ـ عني بالأدب واللغة عنايةً بالغةً، وقرر في مادة التدريس (دلائل الإعجاز) للجرجاني و(إعجاز القرآن) للباقلاني، و(نقد الشعر) عدا مختصر المعاني.

٢ ـ وقرر خمسة عشر جزءاً من (تفسير البيضاوي) و(كتاب الصراط المستقيم) الذي تناول فيه مؤلفه تفسير الآيات التي تتصل بمواضيع الفقه والكلام والأخلاق.

٣ ـ وقُرّرَ تدريسُ (معالم في أصول الدين) للإمام الرازي في مادة العقائد بدل (كشف الأدلة) لابن رشد، و(الاقتصاد) للإمام الغزالي.

٤ ـ وقرر في مادة الفلسفة تدريس (الهدية السعيدية) و(شرح حكمة العين) و(شرح حكمة الإشراق).

٥ ـ وقرر في مادة أسرار الشريعة تدريس كتاب (حجة الله البالغة) للإمام أحمد بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي.

٦ ـ وقرر في مادة الفلسفة الحديثة كتاب (الدروس الأولية).

٧ ـ وقرر تدريس اللغة الإنكليزية كمادة إجبارية[١].

ولكنّ العلماء والمدرسين لتزمّتهم الشديد، وجمودهم المتحجر، لم يستسيغوا إجراءَ أيِّ تعديل أو إصلاح في المنهاج الدراسي القديم[٢]، فإنَّ هذا المنهاج الجديد وإن كان قد تمَّ إعداده سنة ١٩٠٤م، لم يشهد التطبيق والتنفيذ، وألحَّ المدرسون على تدريس الكتب القديمة المعهودة، حتى أقام العلامة شبلي النعماني بدار العلوم وأصدر أمراً إجبارياً بإدخال المقررات الدراسية الجديدة، فتمَّ تطبيقُ المنهاج الجديد بفضل مساعيه وجهوده المشكورة.

تدريس اللغة الإنكليزية:

رأى العلامة شبلي النعماني أنه لا يمكن للعلماء أن يحافظوا على مكانتهم العلمية، ويقوموا بأداء فريضة الدعوة الإسلامية في البلاد

---

(١) حياة شبلي، ص٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) يقول العلامة الشاه سليمان البلواروي أحد أعضاء الندوة المؤسسين في تأويل هذا الجمود: «يصعبُ على المرءِ ترك العصا التي تصحبه لعدة سنوات، فما أصعبَ ترك المقررات الدراسية التي ورثوها معتنقينَ لها منذ قرون»، تاريخ ندوة العلماء: ١/ ١٢٣.

وخارجها، ويردّوا على شبهات أعداء الإسلام، ويُقْنِعوا الطبقة المثقفة، ويعيدوا ثقتها بالثقافة الإسلامية إلا أن يتسلّحوا باللغة الإنكليزية، نظراً إلى ذلك كلِّه أكد العلامة شبلي تأكيداً بليغاً على إدخالها في مقررات دار العلوم لندوة العلماء، ولم يرضَ العلماءُ بهذا الابتداع في المنهاج التعليمي، حتى إنّه لما قدَّم العلامة اقتراحَه هذا في بعض جلسات الهيئة الإدارية لندوة العلماء أعرضَ الأعضاءُ عن دراستهِ ومناقشتهِ، وفيهم الأمير مولانا حبيب الرحمن الشرواني، وكان معروفاً بتنوره الفكري، فكتب العلامة شبلي إلى مولانا حبيب الرحمن الشرواني في ١٠ ديسمبر - كانون الأول سنة ١٨٩٩م:

«قدّمتُ اقتراحَ إدخالَ اللغة الإنكليزية في منهاج دار العلوم، وألححتُ على أن يسجَّلَ الاقتراحُ في جدول الأعمال، ولكن لم يسجل، لماذا كل ذلك. . . ؟»(١).

ثم أعاد اقتراحه في جلسة الهيئة الإدارية سنة ١٩٠٠م، ونالَ الموافقة، ولكنَّ بعضَ أعضائها المرموقين عارضوه معارضةً شديدةً، حتى إنَّ بعضهم هدد بأن دار العلوم لو قررت تدريس اللغة الإنكليزية في منهاجها ليهدمنها وليخربنها(٢).

---

(١) حياة شبلي، ص٤١٦.

(٢) المرجع السابق، ص٤١٧.

وبالرغم من ذلك فإنَّ العلامة شبلي وبعضَ من وافقه ظلوا ثابتين على عزمتهم على إدخال اللغة الإنكليزية في منهاج دار العلوم، حتى تمَّ تعيينُ أستاذ للغة الإنكليزية في ربيع الأول سنة ١٣١٩، وبدأ بعضُ الطلاب يتعلّم أبجدية اللغة الإنكليزية، ولكنّ هذه الدراسة كانت فارغةً ضعيفةً، وبقي المسؤولون عن الندوة يغفلون هذا الجانب، فلمّا تولى العلامة شبلي عمادةَ الشؤون التعليمية لدار العلوم لندوة العلماء سنة ١٩٠٥م، قرر تعليم اللغة الإنكليزية على مستواها المطلوب تعليماً إجبارياً.

وكان العلامة شبلي النعماني يرى أنّه بعدَ ما يتم الطلاب دراستهم للغة الإنكليزية خلال المرحلة التعليمية يخصصون سنتين لإتقانها وإجادتها نطقاً وكتابةً بدار العلوم، يقول: «إن خصص الطلاب سنتين بعد التخرج لدراسة اللغة الإنكليزية وإتقانها فإنهم سيصلون إلى مستوى الطلاب المتخرجين من الكليات الإنكليزية الرسمية وحينئذ تتيسر لهم خدمة الدعوة الإسلامية في أوساط المثقفين والبلدان الغربية»[١].

يا للأسف الشديد إنّ هذا الفصل للتخصص لم يفتح في دار العلوم إلى الآن، ولو تحققت أمنيتُه لأتت بنتائج باهرة، وثمار يانعة، تمهد المجال لنشر الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي في المجتمع الغربي

(١) حياة شبلي، ص٤٢٠.

وفي أوساط المثقفين ثقافة غربية، ولكنّ هذا الإبداع الذي سبق إليه العلامة لم يذهب سدىً، بل ترك آثاراً بعيدةَ المدى، ولم تمضِ فترةٌ من الزمان إلاّ وخضعت له معظم المدارس الإسلامية العربية في الهند، حتى إنَّ دار العلوم بديوبند كذلك قررت تدريسَ اللغة الإنكليزية في منهاجها.

اللغتان الهندية والسنسكرتية:

ومن مآثر العلامة شبلي النعماني أنّه فتح خلال مدة عمادته للشؤون التعليمية فصلاً لتعليم اللغتين الهندية والسنسكرتية حتى يتقنَ الطلابُ هاتين اللغتين، ويستخدموهما لمجادلة الدعاة الهندوس، ونشر الدعوة الإسلامية بين أغلبية سكان الهند، ولكن يا لَلأسف الشديد إنّ هذا العملَ الجليلَ النافعَ كذلك لم يستطع المسؤولون عن ندوة العلماء مواصلته والحفاظَ عليه بعد العلامة شبلي النعماني.

اللغة العربية الحديثة:

كانت اللغة العربية تدرَّس في الهند بعيدة عن الحياة، وبمعزل عن المجتمع العربي الإسلامي، كأنها مجموعةُ كلماتٍ رتيبة فارغة عن أيِّ روح وحيوية، فلمّا رجع العلامة شبلي النعماني من جولته إلى مصر والشام، شعر بأهمية اللغة العربية الحديثة في تلك البلدان، وألّفَ معجماً موجزاً للكلمات والمصطلحات الحديثة، وأكّد في دار العلوم ندوة

العلماء على تعليم اللغة العربية الحديثة، التي لا تختلف في جوهرها عن اللغـة القديمة، وإنما هي امتدادٌ لها، والواقـع أنّه لا فـرقَ بين اللغتين القديمة والحديثة إلا في بعض الأساليب والكلمات التي فـرضها واقعُ التطور والحياة المتجددة.

بدأ العلامة شبلي تدريسَ اللغة العربية في دار العلوم كلغة حية، يتدرّبُ الطلاب على النطق والكتابة بها، ولكنّه لم يحرز في ذلك نجاحاً كبيراً، وإنّما أمكن دار العلوم بعده تحقيق حلمه، حتى أصبحت في عهد الإمـام أبي الحسـن الندوي رحمه الله تعالى أحدَ مراكز اللغـة العربيـة وآدابها، لا في الهند وحدها، بل وفي العالـم الإسلامي بأسـره، وتعتزّ (دارُ العلوم) أنَّ أول اجتماع لرابطة الأدب الإسلامي العالميـة عُقِدَ في رحابها، ودام أمينها العام الإمام أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى رئيساً للرابطة طول حياته، كما قامت دار العلوم بإصدار مجلة (الضياء) الشهرية، ثم مجلة (البعث الإسلامي) وصحيفة (الرائد).

تربية الطلاب وتثقيفهم:

ومنذ أن أقام العلامة بدار العلوم التفَّ حوله الأذكياء والنجباء من الطلاب، فقام بتربيتهم العلميـة، وتثقيفهم الفكـري، وتقويم لغتهم، وتنمية كفاءاتهم، وتدريبهم على الكتابـة والتأليف، وتشـجيعهم على الخوضِ في مضمار الحياة من سماحة قلب، وانفساح صدر، حتى نشأ

بتربيته جماعةٌ من الكتّاب والمؤلفين، تفتخر بهم ندوة العلماء، وعلى رأسِ هذه الجماعة ممن أَثْرَوْا اللغةَ الأردية بالكتب العلمية والأدبية حتى أصبحت تضاهي اللغات العالمية: (العلامة السيد سليمان الندوي) و(مولانا أبو الكلام آزاد) و(مولانا عبد السلام الندوي) و(مولانا عبد الباري الندوي) و(مولانا مسعود علي الندوي) و(مولانا عبد الماجد الدريابادي) و(مولانا ضياء الحسن العلوي الكاكوروي).

التدريب على الخطابة:

وعُني العلامة بصفة خاصة بتدريب الطلاب على الخطابة حول المواضيع العلمية، كان يستدعي الطلاب ويعطيهم عناوين الموضوعات ويدلّهم على المصادر، فكانوا يعدون الخطب ويلقونها أمامه، ويبذلُ لهم نصائحه وتوجيهاته، ويصلح لهم الألفاظ والمعاني، ويقوّم اللغة ويهذّب الأساليب.

توفير المدرسين الأكْفاء:

يتطلب التعليم الجيد الفائق أساتذةً مؤهلين، ومدرسين أكْفاء، وإنّ المستوى التعليمي الذي كان العلامة يهدِفُ إليه كان من الصعب والعسير الحصول على أساتذة ومدرسين مؤهلين له، ولكنّه واصلَ جهده في بحثه عن المدرسين الأكْفاء، حتى اجتمعَ بفضل جهوده ومساعيه

أساتذةٌ أكْفاء لكلٍّ فن في محيط (دار العلوم) وأصبحت (دار العلوم) محطًّ رحال الطلاب من كل ناحية.

سنوات التخصص:

نشأ في ذهن العلامة أن يعدّ في دار العلوم رجالاً أكْفاءً في كل علم وفن، فأراد أن يفتتح مراحل التخصص، وفازَ بموافقة أعضاء ندوة العلماء، وقام بافتتاحها فعلاً سنة ١٩٠٩م.

قرر في جلسة الهيئة الإدارية في غرة مايو ـ أيار سنة ١٩٠٩م أن يفتتح في البداية مرحلة التخصص في علم الكلام والأدب، واختيرت لجنةٌ لإعداد مقررات هذه المرحلة، وتمخّضت هذه اللجنة عن الموافقة على المقررات الآتية:

علم الكلام:

١ ـ (شرح المقاصد) للعلامة التفتازاني.

٢ ـ و(تهافت الفلاسفة) للإمام أبي حامد الغزالي.

٣ ـ و(تهافت التهافت) لابن رشد.

٤ ـ و(الأسماء الصفات) للإمام البيهقي.

٥ ـ والرسائل الأربع للإمام أبي حامد الغزالي.

٦ ـ وفصل (عصمة الأنبياء) من كتاب (الفِصَل في الملل والنحل) لابن حزم.

٧ ـ وبعض كتب الآريين (كتب الدعاة الهندوس).

٨ ـ و(تلخيص المقال) و(كشف الأدلة) لابن رشد.

٩ ـ و(إظهار الحق) للشيخ رحمة الله الكيرانوي.

١٠ ـ و(الروح) لابن قيم الجوزية.

علم الأدب:

١ ـ دواوين امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وعلقمة الفحل، وعروة بن الورد، والفرزدق.

٢ ـ و(الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري) للآمدي.

٣ ـ وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري.

٤ ـ و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني.

٥ ـ و(العقد الفريد) لابن عبد ربّه.

٦ ـ والتمرين على النثر والشعر[1].

---

(١) حياة شبلي، ص٤٢٨ـ٤٢٩.

وفتحت مرحلة التخصص في التفسير سنة ١٩١٢م وقرر فيها تدريس (تفسير ابن كثير) و(تفسير البيضاوي)، و(الكشاف) للزمخشري وكتاب (الناسخ والمنسوخ) للنحاس، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي، و(إعجاز القرآن) للباقلاني، وغير ذلك من الكتب في التفسير وعلوم القرآن.

كما افتتحت بعد ذلك أقسام التخصّص في الفقه وأصوله، وقرّر فيها تدريس (التحرير) لابن الهمام، و(مسلّم الثبوت) للملا محب الله، و(معاني الآثار) للإمام الطحاوي، و(بداية المجتهد) للقاضي ابن رشد[١].

تعليم المعارف الحديثة:

كان من أهداف دار العلوم أن تقصى عن المقررات كتب الفلسفة والمنطق القديمة وبحوثها التي لا صلةَ لها بالحياة العلمية والثقافية اليوم، وتحلّ مكانها كتبُ العلم الحديث والفلسفة الحديثة والحساب، ولكن اعترضت مشكلةٌ كبيرةٌ، فالعلماء القدامى لم يدرسوا هذه العلوم، ولم يطلعوا على مبادئها، وأمّا الطبقة الجديدة فلم يكن لها عهدٌ بالمصطلحات العربية، وخلال هذه الفترة طبع في بيروت كتاب باسم

---

(١) حياة شبلي، ص٤٣٠.

(الدروس الأوليـة في العلوم الطبيعية) واستدعي العلامة عبد الحميد الفراهي (الذي جمع بين العلوم القديمة والثقافات الحديثة) من إجازته لتدريس هذه الرسالة.

دروس القرآن الكريم:

لم تعهد الهند قبل العلامة شبلي النعماني تدريسَ القرآن الكريم إلا بواسطة كتب التفسير، فإنّه هو الذي سبقَ إلى إدخال القرآن الكريم كمادة رئيسة في مقررات دار العلوم، وخصص جزءاً من وقته الثمين لإلقاء دروس القرآن الكريم سنة ١٩٠٦م، يحضرها معظم طلاب دار العلوم، وبعض مدرسيها، يدرسون آية من القرآن الكريم، ويتناولون ما فيها من المسائل بالمناقشة والبحث والتمحيص، وطلب من رأس المفسرين في الهند العلامة (عبد الحميد الفراهي) أن يقضي إجازته في رحاب دار العلوم، ويلقي على طلابها دروسَ التفسير، فأجابه، وقضى إجازته السنوية مرتين في دار العلوم.

مكتبة ندوة العلماء:

كانت الكتب في مكتبة ندوة العلماء قبلَ مجيء العلامة شبلي قليلةً جدّاً، فلمّا أقام بدار العلوم سنة ١٩٠٥م عُني باقتناءِ الكتب، وأولاً نقل مكتبته إليها، وكانت تقوّم بثلاثة آلاف روبية في ذلك الوقت، ووقف كتبَه كلَّها على دار العلوم، وكانت مكتبتُه حافلةً بثروة كبيرة قيمة من كتب

التاريخ والأدب من مطبوعات الشام ومصر وإستانبول وأوروبة النادرة، وحثَّ أصدقاءه وزملاءه في مختلف نواحي الهند أن يقفوا مكتباتهم على دار العلوم لندوة العلماء، ومن الذين وقفوا كتبهم بطلب من العلامة هم: الأمير السيد مرتضى سبط الأمير صديق حسن خان، والمولوي يوسف علي، والأمير علي حسن خان، خلف الأمير صديق حسن خان، وأخته المرحومة صفية بيكم، والأمير أحمد سعيد خان بهادر الشتاري، والأمير عماد الملك السيد حسين البلكرامي.

كما عُني كذلك باشتراء الكتب القيمة لدار العلوم حتى اجتمعت فيها ثروة كبيرة للكتب، فقد كان عددها سنة ١٩٠٩م، (٦٢٨٢) كتاب، ولما فارقها سنة ١٩١٣م بلغ العدد (١٢١٠٥) كتاب.

المساعدات المالية:

لم يكن لدار العلوم ندوة العلماء قبلَه دخلٌ دائم، فلمّا تولّى عمادَة شؤونها التعليمية بذل جهدَه في تنميتها الشاملة، ورفع مستواها من كلِّ ناحية، وصرف عنايته نحو الحصول على المساعدات المالية لندوة العلماء، ومن الجهات التي تلقى منها المساعدات المالية إمارة حيدر آباد التي أجرت مئة روبية شهرياً، وأمير بوفال الذي أجرى ثلاثمئة روبية سنوياً، وأميرة بوفال التي أجرت خمسين روبية شهرياً، وقام العلامة بجولةٍ سنة ١٩٠٦م، وحصلَ من بعض الأثرياء على مساعدات لندوة

العلماء، وزار في السنة نفسها بلدة (داكـة) لحضور المؤتمر التعليمي الإسلامي، فاستمال بخطبه المثيـرة قلوبَ أمرائها وأثريائها إلى نـدوة العلماء، وصل العلامة إلى دار العلوم لندوة العلماء وهي فقيرةٌ لا دخلَ لها، وغادرها وهي من أثرى المدارس الإسلامية في الهند.

اجتماعات ندوة العلماء:

كانت اجتماعـات ندوة العلماء السـنوية قد توقفت بعد اجتمـاع (مدراس) المنعقد في العاشر يناير ـ كانون الثاني سنة ١٩٠٤م، فلمّا أقام بدار العلوم عُني كذلك ببعث الروح في حركة (ندوة العلماء) التي كان الشعب المسلم قد يئس من حياتها، فعقد اجتماعاتها السنوية، وعقد أولَ اجتماعٍ في مدينة (بنارس) في شهر مارس ـ آذار سنة ١٩٠٦م، ويمتازُ هذا الاجتماع بمعرضه العلمي، الذي أقامه العلامة، والذي استهوى قلوبَ العلماء والمثقفين إليه، وكان بدعةً في الأمر بالنسبة إلى الهند، ثم عقد اجتماع في لكنؤ في شـهر مارس ـ آذار ١٩٠٧م والذي احتفـل فيه بعقد العمائـم علـى رؤوس المتخرجين.

ثم عقد اجتماع في دار العلوم في ٢٩ ـ ٣٠ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٠٨م، وقبلَ هذا الاجتماع بيوم وضع الحجر الأساس لمبنى دار العلوم الشامخ، ومن ميـزة هذا الاجتماع أن حضره كذلـك ممثلون من جامعـة (عليكره) الإسلامية، ثم عقد اجتماع في (دهلي) في ٢٦ ـ ٢٧ مارس ـ آذار

سنة ١٩١٠م، وأبلغُ اجتماعات ندوة العلماء نجاحاً وازدهاراً ذلك الاجتماع الذي عقد في (لكنؤ) سنة ١٩١٢م، والذي حضره العالم الجليل (السيد محمد رشيد رضا) من مصر.

معارضة العلامة شبلي:

حينما فوّضت إلى العلامة شبلي مسؤولية دار العلوم لندوة العلماء سنة ١٩٠٥م قسّمت شؤون دار العلوم إلى ثلاثة أقسام، وعيّنَ لكل واحد منها عميد:

١ ـ دار العلوم وشؤونها التعليمية، عميدها: العلامة شبلي النعماني.

٢ ـ قسم المراسلات، عميده: العلامة الشريف عبد الحي الحسني.

٣ ـ القسم المالي، عميدُه: المنشئ محمد احتشام علي الكاكوروي[١].

كانت هذه الأقسام الثلاثة تنقصها الوحدة، وهذا التقسيم سبَّبَ سوءَ التفاهم بين العمداء الثلاثة، وكان العلامة شبلي وحده من بينهم هو الذي يقيم في رحاب دار العلوم، وكان كل تقدم لندوة العلماء وازدهار

(١) حياة عبد الحي، ص١٥٠.

لها ورقي في إنتاجاتها يزيد العلامة شبلي شهرة وحُسن سمعة، فبعثَ ذلك حسداً في النفوس، وكان قد شارك في حركة (عليكره) وكان له خلافات جذرية مع قادة هذه الحركة، ولكن اتهمه بعضُ حساده ـ رغم ذلك كله ـ بأنّه إنما قطعَ علاقته بعليكره، واتصلَ بحركة ندوة العلماء حتى يخرّبَ هـذه الحركة الدينيـة، وكان ألّفَ كتابين (علم الكـلام) و(الكلام) كخطوة لتأسيس منهج جديد لعلم الكلام، فقام بعضُ العلماء المعارضين له باستخراجِ أشياءَ منهما، زعموا أنّها تعارض ما عهدوه من أفكار ومعتقدات دينية.

وكان العلامة يريدُ أن يطبّقَ منهجاً جديداً للإصلاح، وألحَّ على طرد كتب الفلسفة والمنطق والجدل التي ألفتها طبائع العلماء منذ قديم، واستبدالها بالعلوم الدينية البحتة، والمعارف التجريبية الحديثة، وأكّد على الحاجة إلى تعليم اللغة الإنكليزية، فاستصعبَ كثيرٌ من العلماء الذين لم يبلغوا مداركه، ولم يمروا بالخبرات التعليمية، ولم يدرسوا الحركات العلمية والدينية استساغةَ هذه التغييرات الثورية، والخطوات الإصلاحية، حتى قاموا بتحريض الرأي العام ضده، وضم أغلبية أعضاء ندوة العلماء إليهم، فصار المؤيدون والمناصرون له في قلة، واستولى خصومه على إجراءاتِ الهيئة الإداريةِ[1].

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٦٣٨ـ٦٤١.

حينما كان العلامة قد عقد العزم على الإقامة بدار العلوم لندوة العلماء قال له الأمير محسن الملك: «لن يعارضك ولن يقف في سبيلك أحد في هذا الوضع الحرج الضنك الذي تمرّ به ندوة العلماء، ولكن إذا بدت طلائعُ الازدهار والرقي والتقدم فإنَّ جميعَ العلماء سيتكالبون عليك ويعادونك»[1].

وتحققت هذه النبوءة، فلمّا بلغت ندوة العلماء ذِروة الازدهار والرقي في عهد العلامة شبلي، قام الشيخ (خليل الرحمن السهارنبوري) بمعاداته ومعارضته ورميه بالفسق، وما إلى ذلك من التهم، التي لا تمتُّ إلى الواقع بصلة ما[2]، وكان عامة العلماء في الهند يشعرون بخطورة الأمر، وبراءة العلامة شبلي، وسبب معاداة حسّاده، وكتب مولانا أبو الكلام آزاد عدة مقالات أعرب فيها عن رأيه بأنّ الشيخ خليل الرحمن السهارنبوري قد قدّم نفسه لرئاسة ندوة العلماء، وليست له كفاءة علمية ولا أدبية ولا إدارية إلا البغض والحسد، اللذان حملاه على هذه الحملة التي لا حظَّ فيها للدين ولا للأمانة.

ضَجِرَ العلامة شبلي من المشاغبات وإثارة الشائعات حوله، فقرر تخلّيه عن شؤون ندوة العلماء، وأرسل استقالته في يوليو ـ تموز سنة ١٩١٣م من بومباي[3].

---

(١) حياة شبلي، ص٦٤١.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤١ ـ ٦٤٢.

(٣) انظر: تاريخ ندوة العلماء: ٢/ ٧١.

استقالته:

لمَّا اطّلع طلابُ (دار العلوم) ندوة العلماء على نبأ استقالة العلامة شبلي النعماني حزنوا حزناً شديداً، وبلغ منهم الأسف كلَّ مبلغ، وعقدوا جلسة، وكتبوا إليه أن يرحَمَ حالهم، ويرجع عن استقالته، ولكنَّ العلامة رفضَ قبول المنصب مرة أخرى، إلا أنّه قرر أن يخدم ندوة العلماء في جميع أعمالها وشؤونها كعضو عادي، وأرسل إلى الطلاب في ١٣ يوليو ـ تموز سنة ١٩١٣م الكتاب التالي:

«أعزتي: السلام عليكم! تلقيتُ كتبكم الحزينة المفجعة، لست قاسياً حتى لا تؤثِّر فيّ، كان من المستحيل أن أواصل خدمتي لندوة العلماء في وضعها الراهن، وأرى سعيي مشكوراً إذا كان الطلاب الذين خدمتهم يقدّرون جهودي وإخلاصي، أراكم يائسين قانطين، لكن لا داعي لذلك، لقد انتبهت جماهير المسلمين، وستقدّر وتحسب مصالحها، وتحافظ عليها، ولو بشيءٍ من التأخر، ولكن البذرة التي قد أُلقيت في الأرض ستؤتي أكلها»[1].

وكذلك كتب إليه بعضُ المدرسين أن يرجع عن استقالته ولكنه اعتذر عن إجابة طلبهم، وزار العلامة لكنؤ في ٨ ديسمبر ـ كانون الأول

(١) حياة شبلي، ص٦٥١.

بناءً على إلحاح من الطلاب، وبدأ يلقي دروس (الجامع الصحيح) للبخاري وبعض الخطب العلمية، ولكنّ الشيخ (خليل الرحمن السهارنبوري) منع الطلاب من حضور دروسه وخطبه وشدّد عليهم، فثار الطلاب، وأعلنوا الإضراب العام في ٧ مارس ـ آذار سنة ١٩١٤م رغم منع العلامة ونهيه عن هذه الخطوة[١].

وهذا الإضراب أثار الهند بأسرها، فبدأت المجلات والصحف تكتبُ وتؤيّدُ الطلابَ، وعلى رأسها صحيفة (زميندار) الصادرة في لاهور، و(همدرد) الصادرة في دهلي و(مسلم كزت) الصادرة في لكنؤ، و(الهلال) الصادرة في كلكتة، وانقسمت الهند كلها إلى جانبين، جانب يقودُه (مولانا أبو الكلام آزاد)، و(مولانا محمد علي جوهر) رئيس حركة الخلافة الشعبية، و(السيد حسرت الموهاني) و(مولانا ظفر علي خان) كانوا يؤيدون الطلاب، ويناصرون العلامة شبلي النعماني، ويدافعون عنه، وجانبٌ يقودُه بعضُ العلماء المتزمتين من ديوبند، والمثقفين من عليكره، ومن الغريب أنَّ علماء ديوبند والمثقفين من عليكره كلّهم اجتمعوا في صفٍ واحد على معارضة العلامة شبلي، واستمرَّ هذا الصراع في طول البلاد وعرضها نحو شهرين ونصف.

---

(١) حياة شبلي، ص٦٥٤ ـ ٦٥٥.

تكفيره من قبل الحاسدين:

كتب (مولانا أبو الكلام آزاد) مقالاتٍ حماسيةً مثيرةً أشعلت النار في الهند كلّها، حتى أقيمت لجان للإصلاح بين أعضاء ندوة العلماء، لكنَّ المعارضين حملوا سلاحاً آخر ضد العلامة، فاستخرجوا من بعض نصوص كتابيه (الكلام) و(علم الكلام) أنَّ العلامة يقول بقدم المادة، وأنَّ النبوة مكتسبة، فأفتوا بكفره، وطبعوا هذه الفتوى، وألصقوها على الجدران، فسأل بعضُ أصحاب المطابع العلامة عن كلٍّ ذلك فكتبَ أنَّه لا يقول بقدم المادة ولا باكتساب النبوة، وإنّما يقول بقدم الصفات الإلـٰهية، وبأنَّ النبوة موهوبةٌ، فانهارتِ الفتنةُ[1].

وانتهى إضرابُ طلاب ندوة العلماء بالجهود الإصلاحية التي قام بها (مولانا محمد علي جوهر) وحاول العلامة أن يتمَّ الصلح بينه وبين أعضاء الندوة، ولكن لم يتحقق، لأن العلامة شبلي توفي في نوفمبر - تشرين الثاني سنة ١٩١٤م[2].

كانت استقالة العلامة شبلي من عمادة دار العلوم حدثاً خطيراً أضرَّ بها وبتطورها، فلو أنّه ظلَّ عاملاً مقيماً بها لنجح في تحقيق كثير من أهدافها، وإعداد جماعة كبيرة من العلماء والكتّاب، لا يعني ذلك أنَّ

---

(١) حياة شبلي، ص٦٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٦٨.

نـدوة العلمـاء رجعت القهقرى، وقطعت صلتها، و بإصلاحاته، بل إنّها واصلت جهادها بعدَه مع اعترافٍ بفضله وقيمته ورسالته، وعرضه كعالم مثالي، وقدوةٍ عظيمة من بين مؤسسيها، ولم يزل طلاب دار العلوم يحرصون على تقليدِه في الكتابة والتأليف وأسلوبه البديع، ولقد سمعتُ شيخنا الإمام أبا الحسن الندوي رحمه الله تعالى مـراراً يثني على شـبلي، ويشـيد بمآثره وآثـاره، ويحثُّ الطلابَ على مطالعة كتبه وكتاباته، ودراسة (حياة شبلي).

ولما تمّ تشييد مبنى خزانة (دار العلوم) للكتب قـام شيخنا الإمام بعقد ندوة علمية كبيرة في ذكرى العلامة شـبلي، وأعلنَ فيها تسـميتها (مكتبة شبلي النعماني) كرمزٍ لتخليدِ اسمه مرتبطاً بهذه الحركة التعليمية التي جاهدَ في سبيلها جهاداً عظيماً.

* * *

الفصل الخامس

حياته الاجتماعية والتعليمية

مجلة الندوة:

إن أكبر مآثره هو جهده لإصلاح المنهج التعليمي، وتطبيقه في دار العلوم لندوة العلماء، ويلي هذه المأثرة إصداره لمجلة (الندوة) التي لعبت دوراً كبيراً في إثراء اللغة الأردية بالبحوث والمقالات العلمية، وإعداد الكتّاب الأكْفاء.

صدر العدد الأول لمجلة (الندوة) لسانِ حال ندوة العلماء باللغة الأردية تحت إدارة شبلي النعماني، والأمير حبيب الرحمن خان الشرواني في أغسطس-آب سنة ١٩٠٣م.

نُشرت في المجلة بحوثٌ ودراساتٌ تحقيقية حول تجديد العلوم الإسلامية، والتوفيق بين العقل والنقل، والمقارنة بين العلوم القديمة والمعارف الحديثة، وإصلاح المنهاج الدراسي العربي، وكانت معظم هذه البحوث دبجها يراعُ الكاتب الإسلامي الكبير العلامة شبلي

النعماني، ومن أهم هذه البحوث والمقالات المنشورة في مجلة (الندوة): ١ ـ علوم القرآن الكريم، ٢ ـ ماذا أضاف المسلمون إلى فلسفة اليونان، ٣ ـ المعارف الحديثة، ٤ ـ ابن رشد، ٥ ـ علم البلاغة، ٦ ـ حياة العلامة غلام علي آزاد البلكرامي، ٧ ـ الكتب المتداولة في النحو العربي، ٨ ـ تأثير التطور في الفقه الإسلامي، ٩ ـ حياة ذي النون المصري، ١٠ ـ الشعر الفارسي وعرفي الشيرازي، ١١ ـ الحجاب والإسلام، ١٢ ـ عرض ونقد لكتاب (مناقب عمر بن عبد العزيز) لابن الجوزي، ١٣ ـ جمهرة البلاغة، ١٤ ـ حياة الإمام البخاري وكتبه، ١٥ ـ المرأة المسلمة.

أحدثت المجلّة تياراً علمياً وثقافياً، وحركةً كتابيةً تأليفيةً أزاحت الجمود الذي سيطر على العلماء منذ قرون، وفتحت باباً جديداً للبحوث الحديثة، وأنارت للعلماء طرقاً متطوّرة لخدمة الإسلام والعلوم الإسلامية، واخترعت منهجاً بديعاً للكتابة العلمية الأدبية التي تجمع بين فصاحة الكلمات وعذوبتها، وسهولتها وسمو المعاني وعمقها.

ولم تمضِ إلا شهورٌ حتى نشأَ كتّاب كثيرون، يقلّدون أسلوب (الندوة) ومنهجها في الكتابة والتأليف من نواحي الهند المختلفة، كما تربّى عليها كثيرٌ من طلاب دار العلوم كالعلامة (السيد سليمان الندوي) و(عبد السلام الندوي) و(مسعود علي الندوي) و(عبد الباري الندوي) و(إكرام الله الندوي) وغيرهم.

نشرت (الندوة) مقالة السيد سليمان الندوي (وهو طالب) عن الحديث وعلومه، فلمّا اطلع شمس العلماء مولانا ألطاف حسين حالي على هذه المقالة كتب إلى العلامة شبلي النعماني:

«لقد سرّني أنَّ دارَ العلوم قدّمت نموذجاً رائعاً لمنهجها التعليمي في أول مرة، فبارك الله فيها وفي طلبتها، أرجو، لا بل أوافق على أنّ التضلّع باللغة العربية وعلومها، والإلمام الضروري باللغة الإنكليزية سينشئان في شعبنا المسلم الهندي كتّاباً ومؤلفين أكْفاء، لم ينشئ التعليم الإنكليزي الحديث إلى الآن أحداً يضاهيهم»[1].

كانت مجلة (الندوة) حركة للكتابة والتأليف نفذت إلى جميع أقسام العلم والثقافة في الهند، ويدينُ (مولانا أبو الكلام آزاد) و(مولانا عبد الماجد الدريابادي) لها في حياتهما التأليفية والصحفية، أنتجت مجلة (الندوة) الثمار العلمية التالية:

١ ـ أثرت اللغة الأردية بكنزٍ كبيرٍ من البحوث والدراسات العلمية.

٢ ـ أطلعت الطبقة المثقفة الجديدة على آثار الإسلام الدينية والعلمية.

٣ ـ عرَّفت العلماء بالبحوث والمسائل الحديثة.

---

(١) مجلة الندوة، عدد ربيع الثاني، سنة ١٣٢٣هـ.

٤ ـ أنشأت في طلاب اللغة العربية ملكةَ الاستفادة من كنوز التراث الإسلامي.

٥ ـ ردّت على كثير من الاعتراضات والطعون الموجهة نحو الإسلام والتاريخ الإسلامي.

٦ ـ قامت بأداءِ واجبِ التبليغِ والنشرِ لأهداف الندوة في الشعب الهندي المسلم، وعالجت موضوعَ ضرورةِ إصلاح المنهاج الدراسي وأهمية اللغة العربية.

يقول مولانا عبد الحليم شرر وهو يشيد بقيمة (الندوة): «من مفاخر العلامة شبلي مجلة (الندوة) التي وفّرت للمسلمين موادَ كثيرة من المقالات والبحوث التحقيقية»[1].

مَجْمَعُ دار المصنفين:

كان العلامة شبلي النعماني يؤلمه أنْ ليس في الهند مَجْمَع علمي للمسلمين يقوم بواجب الكتابة والتأليف والتدريب عليهما، فكان ينوي أن يؤسِّس مكتبةً تجمع الكتب والمؤلفات العلمية القيمة يستفيدُ منها العلماء والكتاب، ويتبعها مَجْمَعٌ على غرار المجامع العلمية بأوروبة،

(١) حياة شبلي، ص٤٤٧.

ولا يشتغِلُ أعضاؤه إلا بدراسة الكتب ومطالعتها والتأليف والكتابة، وقدم اقتراح دار المصنفين لأوّل مرة في اجتماع ندوة العلماء العاشر المنعقد في دهلي، ولكنَّ الأمر لم يتجاوز الاقتراح.

فلمّا اعتزل دار العلوم لندوة العلماء عادت الفكرةُ إليه بكلّ قوة، فقدمها أمام شعب الهند المسلم عن طريق صحيفة (الهلال) الصادرة في كلكتة تحت إدارة (مولانا أبي الكلام آزاد) سنة ١٩١٤م، وعُني بها مولانا أبو الكلام آزاد عنايةً بالغةً، ووقف لها العلامة بستاناً له في (أعظم كره) ورتّب لها دستوراً، واختار لشؤونها العلمية السيد (سليمان الندوي) ومولانا (حميد الدين الفراهي)، ولشؤونها الإدارية مولانا (مسعود علي الندوي)، ولكنَّ الله تعالى توفاه إليه قبل تجسيد الفكرة، إلا أنّ تلاميذه النجباء كمولانا حميد الدين الفراهي والسيد سليمان الندوي ومسعود علي الندوي وعبد السلام الندوي حقّقوا رغبته، وعكفوا على تطوير هذه المؤسسة العلمية حتى برزت على مسرح الهند كأفضل مجمع علمي، ونشرت منه مؤلفات علمية قيمة تعجز المجامع العلمية في الهند عن مضاهاتها.

كان من أهداف هذا المجمع إعداد جماعة من الكتاب والمؤلفين الذين يجمعون بين العلم العميق والبحث والتحقيق وأسلوب كتابي أدبي رائع.

وقد أحرز المجمع نجاحاً كبيراً، وأنتجَ جماعة كبيرة من الكتاب القديرين، منهم: العلامة السيد سليمان الندوي، وعبد السلام الندوي، والحاج معين الدين الندوي، والشيخ سعيد الأنصاري، وأبو الحسنات الندوي، والعلامة عبد الباري الندوي، وأبو الجلال الندوي، والسيد نجيب أشرف الندوي، والسيد أبو ظفر الندوي، والسيد رياست علي الندوي، والشاه معين الدين الندوي، والسيد صباح الدين عبد الرحمن، وأفضل العلماء الدكتور محمد يوسف كوكن، والشيخ محمد إدريس النكرامي، والشيخ عبد السلام القدوائي، والشيخ مجيب الله الندوي، والأستاذ ضياء الدين الإصلاحي، والدكتور محمد نعيم الصديقي الندوي، والشيخ عبد الرحمن برويز الإصلاحي، والأستاذ عبيد الله الكوتي الندوي، والأستاذ عمير الصديق الدريابادي، وجمع كبير.

وكان من أهدافه تأليفُ الكتب حول المواضيع العلمية والدينية والأدبية والتاريخية والثقافية، وقد صدر منه ما يقارب ثلاثمئة كتاب على أعلى مستوى من البحث والتحقيق، وقد تُرْجمَ كثير منها إلى اللغات العربية، والفارسية، والتركية، والإنكليزية، واللغات الهندية المختلفة، وصدرت لها طبعات، ومن أهم المؤلفات التي أصدرها المجمع: (سيرة النبي ﷺ) في سبعة مجلدات كبار، و(سير أصحاب النبي ﷺ) في اثني عشر مجلداً و(التابعون) في مجلد، و(أتباع التابعين) في مجلدين، و(تاريخ الإسلام) في أربعة أجزاء، و(تاريخ الخلافة العثمانية) في

جزأين، و(تاريخ صقلية) في جزأين، و(تاريخ الأندلس) و(الإسلام والمدنية العربية)، و(حاضر العالم العربي) و(النظام السياسي للإسلام)، و(الحروب الصليبية)، و(تاريخ السند) في مجلدين، و(مختصر تاريخ الهند) و(مختصر تاريخ كجرات)، و(التاريخ الحضاري لكجرات)، و(العلاقات بين العرب والهند)، و(الهند في عين العرب) في مجلدين، و(المدارس الإسلامية القديمة في الهند) و(سيرة عائشة)، و(حياة مالك) و(عمر الخيام)، و(سيرة عمر بن عبد العزيز) و(الإمام فخر الدين الرازي)، و(ابن خلدون) و(ابن رشد)، و(تذكرة الفقهاء)، و(شعر الهند) في مجلدين، و(أقسام القرآن)، و(الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح)، و(الإسلام والمستشرقون).

قد مضى على إنشاء هذا المجمع نحو خمسة وثمانين عاماً، ولا يزالُ نشيطاً في مجال خدمة العلوم والمعارف.

يقول الشيخ إكرام: «إنّ مَجْمَعَ دار المصنفين أهم مركز لنشر العلوم الإسلامية اليوم».

مدرسة الإصلاح:

(سراي مير) قرية في مديرية (أعظم كره) تسكن نواحيها أسر من رهط العلامة شبلي، وكانت لهم أراضٍ، فأسس عليها أحدُ رجالها الأتقياء الصالحين المولوي محمّد شفيع مدرسةً عربيةً سنة ١٩٠٦م،

عني بها العلامة شبلي، وبذل لها اهتمامه، ولما اعتزل دار العلوم لندوة العلماء سنة ١٩١٢م نشأ في فكره أن يطوّر هذه المدرسة إلى جامعة إسلامية، واستدعى لها مولانا حميد الدين الفراهي الذي وقف لها حياته، حتى اشتهرت المدرسة بفضل مؤلفاته في القرآن وعلومه، وما قام به تلاميذه من خدمات جليلة في مجالات مختلفة.

جامعة المدينة:

لما هاج العالم الإسلامي لهجمة إيطالية على طرابلس الغرب، وثارت دول البلقان على تركية خلال سنتي ١٩١٢ و١٩١٣م نهض المسلمون من كل جانب لمساعدة الدول العثمانية ودعمها، وقام كبار العلماء والمثقفين من الهند بزيارة لها ومقابلة الدبلوماسيين والمفكرين بها، وتم قرار أن تنشأ في المدينة المنورة جامعة يقصدها الطلاب من كلّ ناحية من نواحي العالم الإسلامي، ويجنّدُ كبار خبراء التعليم ليقفوا أنفسهم لها، واقترحَ لذلك أسماء العلامة شبلي النعماني والعلامة حميد الدين الفراهي من الهند، وكان هذا الاقتراح يماثِلُ حركة ندوة العلماء، ولكنّ تدهور صحته حالَ دون تحقيق هذا الحلم(١).

ومما يجدر ذكره هنا أنَّ العلامة شبلي قام ـ إلى جانب إصلاحاته

---

(١) انظر: حياة شبلي، ص٥٢٩ ـ ٥٣٠.

في دار العلوم لندوة العلماء ـ بصياغة المناهج التعليمية وإعداد المقررات الدراسية لمدارس إمارة بوفال، والجامعة العثمانية بحيدر آباد، وجامعة داكة والمدرسة العالية بكلكتة، وغيرها من المعاهد الإسلامية والعربية.

بعض الأحداث التاريخية:

العهد الذي أكمل فيه العلامة دراسته كان العالم الإسلامي يشهد فيه حركةً قويةً كبيرةً، وهي حركة (الجامعة الإسلامية)، وكان السيد جمال الدين الأفغاني أسبقَ الدعاة إليها، وكان قد أقام بالقسطنطينية أخيراً، واستغل السلطان عبد الحميد خان هذه الحركة، وعرف خليفة للإسلام وأميراً للمؤمنين في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي، وذُكِرَ في الخطب وعلى المنابر اسمُه، وخلال هذه الفترة نشبت حرب بين روسية وتركية سنة ١٨٧٧م، وأشعلت هذه الحربُ النارَ في أنحاء العالم الإسلامي، وأقبلَ المسلمون على الدعاء لنصرة السلطان وغلبته، وجمع التبرعات والمساعدات المالية للجرحى والمصابين، وإلقاءِ الخطب الحماسية المثيرة، وإخراج الكتابات في تأييد السلطان، وكان ذلك والعلامة شاب يافع، فألهبتْ هذه الجمرةُ قواه، وبذل جهده المستطاع في سبيل جمع التبرعات في (أعظم كره) وبعث بالمساعدات المالية بواسطة سفير تركية في بومباي حسين حبيب أفندي إلى القسطنطينية.

وكانت الخلافة العثمانية تمرُّ في ذلك الوقت بأوضاع عصيبة،

وكان شبلي يتألّم لكلّ حادثة، ويجند كلَّ مساعدة لها.

ولما استثارت دول أوروبة حرب البلقان سنة ١٩١٢م هاجت الهندُ كلها، وبكت العيونُ الدماءَ، وكتب شبلي منظومةً باللغة الأردية بهذه المناسبة هيّجتِ المسلمينَ على العويل والبكاء، ولا تزال هذه المنظومة حاملةً التأثيرَ نفسه.

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «كأنّ هذه المنظومة ملهمة من عند الله تعالى، تحققَ عديد من نبوءاتها، أنشدها العلامة شبلي في حفلة عامة في لكنؤ عقدت لجمع التبرعات لتركية، فبكى واستبكى، كأنّ بلدة لكنؤ تحوّلت إلى مجلس للمآتم والتأبين»[1].

حادثة مسجد كانبور:

وخلال حروب البلقان نشأت فتنة جديدة في الهند، إذ قامت بلدية مدينة كانبور بهدم ناحيةٍ من مسجد لتوسعة شارع، وكان معبد هندوكي قريباً منه يعترِضُ الشارع، ولكنّ البلدية لم تتعرّض له، فاجتمع المسلمون لإعادة بناء المسجد، فأمر حاكم البلدية بإطلاق النيران على المسلمين، وقُتِلَ عددٌ من المسلمين، وفيهم أطفال أبرياء، فاستشاط المسلمون غضباً في طول البلاد وعرضها، وتعتبر هذه الحادثة بدايةً عهدٍ جديدٍ في نضال

---

(١) حياة شبلي، ص٥٩٤.

المسلمين لتحرير البلاد، وكتب شبلي عدة منظومات مليئة بالشجى، ظلت الألسنةُ تردِّدُها أعواماً طويلة بعد الحادثة، وأخيراً خضعت الحكومة لمطالبات المسلمين.

مسألة الوقف الذري:

يجوزُ في الشريعة الإسلامية الوقفُ على الأولاد والذرية[1]، وكان القضاءُ بجوازه مستمرّاً في الهند إلى أن تولى الإنكليز الحكمَ فألغوه، وأهمَّ ذلك المسلمين، حتى صرف شبلي عنايته إلى النضال من أجل إقرار القانون الإسلامي للوقف على الأولاد في المحاكم القضائية، وأخيراً نجح في الحصول على موافقة الحكومة على المنهج الصحيح للوقف على الأولاد، يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «إن قضية الوقف على الأولاد التي باء السيد أحمد خان فيها بالفشل، حققت بالجهود التي بذلها العلامة شبلي نجاحاً خضعتْ لها الحكومةُ، ثم وافق المجلس التشريعي عليها بمتابعة السيد (محمد علي جناح)[2].

نشر الدعوة الإسلامية:

ومن بركات إقامته بدار العلوم لندوة العلماء أنّه شارك بكلّ نشاط

---

(١) انظر: الفتاوى البزازية على هامش الفتاوى الهندية: ٦/ ٢٧٢ـ٢٧٤.
(٢) مقدمة مقالات شبلي: ٨/ ٢.

وقوة في نشر الدعوة الإسلامية، ومحاربة الآريين الهندوس، الذين أثّروا في بعض الجهلة من المسلمين، حتى حدثت أحداث من الردة سنة ١٩٠٨م، فنشطَ العلاّمة شبلي لقمع هذه الفتنة، وزار المناطق المصابة بها في وفد من العلماء، وعمل لإعداد جماعة من طلبة دار العلوم للدعوة، وكتب المقالات، يقول في بعضها: «يبدو أنّ الأخطار المخيفة تحيطُ بالإسلام من كلّ جانب، فالآريون الهندوس نشطون بكلّ قوة وحيلة، ودعاتهم منتشرون في جميع القرى الحديثةِ العهدِ بالإسلام، والمبشرون المسيحيون وسّعوا نطاقَ عملهم، واشتدّت هجماتُ الملحدين الأوروبيين، وغزاة الفكر الغربي، أما المسلمون فيعانون من الجمود، وقلّة معرفتهم بالدين، وتشتت قواهم، وتفرّقَ مناهجهم، وعدم استقلال ثروتهم، فانظروا إلى الوضعين. . . إننا نحتاجُ للردّ على هذه الهجمات إلى نوعين من المساعي:

١ ـ الدفاع: أعني حماية الجهلة والغافلين من المسلمين من اعتداءات الأعداء وهجماتهم، ونشر التعليم البدائي فيهم لتحقيق هذا الهدف.

٢ ـ نشر الدعوة: لا يكفينا أن نحمي أنفسنا كضعفاء من هجمات الآخرين، جاء الإسلامُ ليقدّم دعوته إلى العالمين، فيجب علينا أن نبعثَ دعاتنا إلى غيرنا من الأمم والشعوب، فيبلغوهم الإسلام، من العلم

القاطع أنّه إنْ قُدّم دينُ الإسلام بأسلوب صحيح إلى شعوب العالم فإنّ الألوف من الناس في آسية وأوروبة سيدخلون فيه»[1].

نظرته نحو تعليم المرأة:

رفع الإسلام مكانة المرأة إلى أعلى ذِروة، وحمى حقوقها، ودافع عنها، ومن أعظم ما منّ به الإسلامُ على المرأة حثها على التعليم، وتوفير إمكانيات الدراسة وكسب العلوم والمعارف لها، فما مِنْ مجالٍ من العلوم إلا وللمرأة المسلمة إسهامٌ فيه، ولكنّ العنايةَ بتعليم المرأة تدهورت مع انحطاط المسلمين.

ففي القرن التاسع عشر المسيحي حينما نشأت حركات تعليمية كثيرة في الهند، لم يُعْنَ أحدٌ من قادتها بتعليم المرأة، حتى إن السيد أحمد خان الرجل المتنور وأصحابَه استحسنوا منعَ المرأة من مجال التعليم.

ولكنْ يمتازُ العلامة شبلي النعماني بأنه دعا إلى تعليم المرأة، وشجّعَ ذلك، وكلّما لاحظَ تقدماً في النساء نحو العلم والأدب أشاد به، ونوّه به، وسأل ـ كخطوة في هذا الاتجاه ـ تلميذَه النجيب العلامة السيد سليمان الندوي أن يقومَ بتأليف كتاب عن سيرةِ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

---

(١) مقالات شبلي: ٨/ ١٠.

يقول العلامة: «ابحثوا في الكتب التي بين أيدينا، والأخبار التي تروونها وتسمعونها، والأحوال التي أمام عيوننا، فانظروا إلى المكانة التي كانت المرأة تحتلها في الإسلام.. إذا قيل لكم: إنّ المعارك الدامية التي نشبت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كانت نساء القبائل فيها يخطبن راكباتِ الإبلَ، ويشعلنَ النيرانَ في القلوب فمن يصدّقُ ذلك؟.. من يظن أنَّ النساء كنَّ يحملن هذه المكانة في عصر من العصور؟»[1].

كان بعض العاملين في مجال تعليم المرأة يرون أن يكون للبنات منهاجٌ تعليمي مختلِفٌ، فكأنّهم كانوا يرون أنَّ المرأة لا تهمها المواضيع العلمية العامة، وإنّما يجب أن يركز في تعليمها على النواحي التي تضمن لها النجاح في الحياة العائلية، ولكنّ كان شبلي يرى أن لا تختلف المقررات الدراسية لمدارس البنات عن المقررات العامة، يقول في إحدى رسائله: «إنّي لأعارضُ بشدة أن يكونَ للنساء مقررات دراسية مختلفة، هذا خطأ مبدئي ترتكبه أوروبة، ينبغي أن يبذل الجهد لتقليل الفجوة بينهما، لا أن تُزادَ حتى يختلفا في الحديث والخطاب، وذوق اللغة واللسان»[2].

وقدّم اقتراحاً لإصدار مجلة للنساء في بومباي، ووعد بدعمها.

---

(١) مقالات شبلي، ص٤؛ بلاغة النساء.

(٢) خطوط شبلي، ص١٩.

وكتب العلامة في رحلته: «من أكبر الفضائل التي ينبغي أن يقلّد فيها الترك، ويشاد بها، هي ثقافة النساء عندهم، ووضعهنّ الاجتماعي، إنّ أوروبة وآسية في هذه القضية على طرفي النقيض، لكنّ الترك انتهجوا منهجاً وسطاً عادلاً جامعاً بين محاسنها، وبعيداً عن مثالبها، فالنساء في تركية مثقفات، ولكن لم يتربين على الوقاحة والخلاعة والاستهتار والحرية الجامحة والرقص، إنّهن ملتزمات بالحجاب، ولكن لسنَ مسجوناتٍ أو أسيراتٍ في البيوت، فهناك مدارس رسمية وأهلية كثيرة لتعليم البنات، مع الاعتناء التام بالاحتجاب والتستر، تدرّس فيها إلى جانب العلوم والفنون اللغة الفرنسية، وقد تعلَّم الموسيقى في بعض المدارس، ومن أجل انتشار الثقافة في التركيات بدأت بعضهنَّ تكتب المقالات والبحوث، فـ(فاطمة خانم) بنت جودت باشا مؤلفة شهيرة، طبعت لها رواية رائعة باسم (نساء الإسلام)، وقد نُقِلت إلى اللغتين العربية والأردية، ومثلها كاتبات ومؤلفات أخر»[1].

* * *

(١) رحلة شبلي؛ مجلة ثقافة الهند؛ العدد الأول من المجلد ٤٣، ص١٣.

الفصل السادس

تلاميذه

لم يعش العلامة شبلي النعماني عمراً طويلاً، توفي وهو ابن سبعة وخمسين عاماً، ومع ذلك فإنّ حياته حافلةٌ بجلائل الأعمال، التي تنوء بها عصبة من العلماء، وفي هذه الحياة العلمية الشاغلة لم يفته الاعتناء بتدريس الطلاب وتربيتهم، وتثقيفهم وتخريجهم علماء وكتاباً، تتلمذ عليه عددٌ كبير في (أعظم كره) ثم في (عليكره) وأخيراً في (دار العلوم) لندوة العلماء، ويصعب علي استقصاءُ أسمائهم، ولكن سأترجم فيما يلي لأشهر تلاميذه ترجمةً قصيرة:

١ ـ العلامة الفاضل (عبد الحميد) المعروف بحميد الدين بن عبد الكريم الأنصاري (الفراهي) المفسر الكبير صاحب التآليف النافعة (١٢٨٢ ـ ١٣٤٩)، كان متقناً للغات الفارسية، والعربية، والأردية، والإنكليزية، والعبرية، مع اختصاص في القرآن الكريم وعلومه، وتفوّقَ في الفلسفة الحديثة، له: (نظام القرآن)، و(الإمعان في أقسام القرآن)[1]، و(جمهرة البلاغة)، و(أساليب القرآن)، و(الرأي الصحيح

(١) وهو من منشورات دار القلم بدمشق.

في من هو الذبيح)[1]، و(ديوان شعر) بالعربية.

٢ ـ العلامة الباحث المحقق السيد (سليمان بن أبي الحسن الحسيني الزيدي الندوي) (١٣٠٢ ـ ١٣٧٣)، وهو خليفة العلامة شبلي النعماني في العلوم والآداب، أكمل (سيرة النبي ﷺ) في سبعة مجلدات، وله: (محاضرات مدراس)[2]، و(أرض القرآن)، و(سيرة عائشة)، و(حياة مالك)، و(حياة شبلي)، و(العلاقات بين الهند والبلدان العربية)، و(الملاحة عند العرب)، وأشياء قيّمة.

٣ ـ العلامة (مسعود علي الندوي)، الكاتب الكبير، والإداري الخبير، مدير مجمع دار المصنفين، ألف (الهند في عيون العرب) في مجلدين، وأشياء.

٤ ـ العلامة (عبد السلام بن دين محمد الندوي) الكاتب القدير (ت١٣٧٦هـ)، له: (سيرة عمر بن عبد العزيز)، و(أسوة الصحابة)، و(شعر الهند).

٥ ـ العلامة (عبد الباري الندوي) (ت١٣٩٧هـ) العالم الفيلسوف والكاتب القدير، أشهر مؤلفاته: (الدين والعلم).

---

(١) وهو من منشورات دار القلم بدمشق.
(٢) نشرت بالعربية بعنوان (الرسائل المحمدية) في المطبعة السلفية بالقاهرة.

٦ ـ العلامة (أبو الكلام محيي الدين أحمد بن خير الدين آزاد) (ت١٣٧٧هـ) السياسي البارز، وأحد الأذكياء المعروفين، والكتاب المعدودين، كان محباً للإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية، ومتبعاً للسلف، له: (ترجمان القرآن) و(العزيمة والدعوة) و(تذكرة).

٧ ـ القائد الشهير (محمد علي جوهر)، زعيم حركة الخلافة، والمصلح السياسي الشهير، والصحافي البارع.

٨ ـ العلامة عبد الماجد الدريابادي (ت١٣٩٣هـ) الأديب الكبير، والفيلسوف العظيم، والمفسّر الشهير، له: (تفسير القرآن الكريم) باللغة الإنكليزية في مجلدات، وباللغة الأردية، وأشياء كثيرة جداً.

٩ ـ المعلم المعروف الشيخ الفاضل (ماجد علي المانوي الجونبوري) (ت١٣٥٢هـ)، كان معروفاً بسعة الاطلاع وكثرة الدرس والإفادة.

١٠ ـ الأستاذ الفاضل الشيخ (إكرام الله خان بن مطيع الله الندوي) الكاتب القدير والمؤلف البارع (ت١٣٧١هـ)، له: (وقار حياة) وأشياء.

١١ ـ الشيخ الفاضل (شبلي بن عناية الله الندوي) المتكلم المعروف (ت١٣٩٤هـ)، كان كثير الدرس والإفادة.

● ● ●

البَابُ الثَالِث

مؤلّفاتُ شبليّ

- الفصل الأول : مصنفاته في التاريخ
- الفصل الثاني : مصنفاته في التراجم والسِّير
- الفصل الثالث : مصنفاته في الكلام
- الفصل الرابع : مؤلفاته في الأدب والشعر والنقد
- الفصل الخامس : في كتاباته المتفرقة

يستحقّ العلامة شبلي بجدارةَ أن يُعتبر رائدَ الكتابة الإسلامية العلمية باللغة الأردية، بل أول من قام بتنقية الفكر الإسلامي من الشوائب، وزود اللغة الأردية بكتب في التاريخ والسيرة أصبحت بها تضاهي اللغات العلمية العالمية حتى قال بعضُ معاصريه:

«كانت اللغة الأردية وليدةً يتسلّى بها الأمراء والأثرياء في محافلهم الشعرية والأدبية، حتى جاء شبلي فجعلها لغةً علميةً حيةً، ومنحها أسلوباً علمياً رصيناً جاداً، وإنّ إلقاء نظرة على موضوعات الكتب التي ألّفها يكفي للشهادة بأنّه لعبَ أمثلَ دورٍ في تزويد المسلمين بالكتب العلمية القيمة، وتطوير اللغة الأردية حتى عُدَّ من أبرز أساطينها»[١].

ونذكر فيما يلي الموضوعات المختلفة التي خلّف فيها كتباً فذّة رائعةً، وبحوثاً بديعةً، وكتاباتٍ علمية نافعة:

---

(١) إفادات مهدي، المقال عن العناصر الخمسة.

الفصل الأول

مصنفاته في التاريخ

كان العلاّمة شبلي مطبوعاً على ذوق التأليف والكتابة، وقد طبعت له بعضُ الكتب والرسائل باللغتين الأردية والعربية بالأسلوب الأدبي الرصين، الذي امتاز وعرف به قبل أن ينضمّ إلى هيئة تدريس الكلية الإسلامية بعليكره، ولكنّها لم تكن تحمل خطورة كبيرة ولا ابتداعاً، وكان موضوعها يدور حول المناظرة والجدل، فلم ينل بها شهرة كبيرة ولا صيتاً عظيماً.

فلمّا وصل إلى عليكره، وطالع كتب التاريخ والفلسفة، وأصدر مقالات وكتباً تاريخية تلقته الدوائر العلمية والأوساط الثقافية بالترحيب والقبول، وأجلّته إجلالاً كبيراً، وكانت مكتبة السيد أحمد خان جامعةً لأهم المصادر التي ساعدته في دراسة التاريخ، وتعرّف من خلالها على مآثر المسلمين العلمية والأدبية وانتصاراتهم السياسية، ونشأت فيه الثقة بماضيه التليد، كما اطلع على منهج التأليف الغربي الحديث، فدرس

تاريخ الإسلام والمسلمين من خلال هذا المنهج الغربي العلمي حتى استطاع أن يقدّمه للعالم الإسلامي في ثوبه القشيب الفاخر.

يقول السيد أحمد خان: «لا شك أنّ أستاذ كليتنا محمد شبلي النعماني قد نفع البلاد كثيراً بمؤلفاته، لا يوجدُ نظيرٌ لكتبه (المأمون) و(سيرة النعمان) و(مكتبة الإسكندرية) و(الجزية)»[1].

ويقول الشيخ إكرام: «قام العلاّمة شبلي بتعريف المسلمين الهنود بالتاريخ الإسلامي تعريفاً صحيحاً، وإنّه من فضل كتبه (الفاروق)، و(المأمون)، و(الغزالي)، و(النعمان) أنّ المثقفين في الهند يلمّون بمآثر هؤلاء الأعلام»[2].

أراد العلامة شبلي أن يؤلّف موسوعة في تاريخ البلدان والدول الإسلامية ولكنّ أشغاله العلمية حالت دون ذلك، ثم بدأ بتأليف تاريخ بني العباس حتى وصل إلى عهد المعتصم بالله، ولكنّه لم يواصله لطولِ الأمرِ، فقصر نفسَه على تأليف تاريخ أبطال الإسلام، وكتابة بعض البحوث العلمية التاريخية الهامة، وهي:

١ ـ التعليم في العهود الإسلامية الماضية:

هذه مقالةٌ باللغة الأردية كتبها للاجتماع السنوي للمؤتمر التعليمي

---

(١) مقالات السيد أحمد خان: ٧/ ٣٢٥.

(٢) موج كوثر، ص٢٢٦.

الإسـلامي المنعقد في ديسـمبر ـ كانون الأول سنة ١٨٨٧م، وهذا هو الأفق الذي طلعت منه شمس شهرته وصيته، ولا يمكن تقديرُ ما يحمِلُ هذا المقال من قيمة علمية وأدبية وتاريخية إلاّ بدراسته، ولكننا نذكرُ فيما يلي بعضَ عناوينها التي تكفي شهادةً على شموله ودقّته:

١ ـ فضل القرآن الكريم على أسلوب اللغة العربية، ٢ ـ علوم المسلمين: الفقه، ٣ـ الفرائض، ٤ ـ القصص، ٥ ـ علم الكلام، ٦ـ علم الحديث، ٧ ـ رجال الحديث، ٨ ـ علم الدراية، ٩ ـ النحو، ١٠ ـ علماء الصحابة، ١١ ـ متى بدأ التأليف والتدوين، ١٢ ـ علم المعاني والبيان، ١٣ ـ علم الكلام والقرآن الكريم، ١٤ ـ ماذا استفاد المسلمون من غيرهم من الأمم والشعوب، ١٥ ـ كان معظم المترجمين للفلسفة اليونانيـة مسيحيين، ١٦ ـ التـراجم، ١٧ ـ مساعي العهود المختلفة، ١٨ ـ عهد المنصور العباسـي، ١٩ ـ عهد هارون الرشـيد، ٢٠ ـ عهد المأمـون، ٢١ـ عهد المتوكل على الله، ٢٢ ـ رواتب المترجمين، ٢٣ ـ لماذا لم تنقل كتب العلـوم الأخرى غير الفلسـفة والطب، ٢٤ ـ الصحة والخطأ في التراجم، ٢٥ ـ لماذا اسـتعمل المسلمون غيرهم لعمليـة الترجمة، ٢٦ ـ بدايـة المدارس، ٢٧ ـ المدرسـة النظامية ببغداد، ٢٨ ـ مـدارس بغـداد، ٢٩ـ عهـد صلاح الدين ونـور الدين، ٣٠ ـ رواتـب العلماء في عهـد صلاح الديـن، ٣١ـ الدولـة الصلاحيـة، ٣٢ـ أسـرة نـور الديـن، ٣٣ـ ازدهار المدارس في عهد الجراكسة، ٣٤ ـ مدرسة ابن الناصر التي كلّف بناؤها مليوناً ونصف مليون روبيـة، ٣٥ ـ الهند ٣٦ ـ المدرسـة

الحربيـة، ٣٧ـ المدارس الإسلامية في أوروبة، ٣٨ ـ التعليم القديم، ٣٩ ـ منهج التعليم، ٤٠ ـ شروط التعليم العالي، ٤١ ـ مجالس المناظرة ٤٢ ـ عهد المدارس، ٤٣ ـ غياب طريقة الإملاء، ٤٤ ـ التأثير الديني للمدارس، ٤٥ ـ أسباب الانحطاط، ٤٦ ـ المزايا المنطقية، ٤٧ ـ تأثير تطورات الحكم، ٤٨ ـ ما كانت السياسة تعليماً.

يظهرُ من دراسـة هذا المقال أنَّ قدراتِه وكفاءاتِه التأليفيـة تجلّت بوضوحٍ وقوّةٍ بالغةٍ لأوّل مرة في مقاله هذا، كلّ جملةٍ منه تشيرُ إلى ملكته في البحث والتحقيق، واسـتند إلى نحو أربعين مصدراً من كتب التاريخ والجغرافية والطبقات والتراجم وتاريخ العلوم والفنون، كما استفاد من المصادر الغربية.

وكتب الأديب الأردي الكبير عبد الحليم شرر تعليقاً طويلاً على هذا المقال ختمه بقوله: «أرانا مولانا شبلي من خلال مقاله هذا رؤيةً ممتعةً ساحرةً رآها، فاستهوت عقولَنا، وسحرت ألبابَنا حتّى غلبتنا النشوةُ، ونريدُ أن نري قومَنا هذه الرؤية».

يقول الدكتور عبيد الله الفراهي: «لما قدّم شبلي بحثَه هذا دوّى صيتُه في البلاد بأسرها»[1].

---

(١) علامة شبلي كانظريه تعليم، ص٤٢.

٢ ـ الجزية:

هذا مقاله التاريخي الشهير الذي دبّجه يراعه في نهاية عام ١٨٨٨م أو بداية عام ١٨٨٩م، وبز مقالَه الأول في الانتشار وذيوع الصيت، حتى كتب عنه السيد أحمد خان في مجلته:

«لاغروَ إذا قال العلامة شبلي بعد تأليف رسالته هذه: «فأتوا بسورة من مثله» ـ والعياذ بالله ـ، كانت الجزيةُ تهمةً كبيرةً توجّه نحو الإسلام والمسلمين، لم يدافع عنها أحدٌ قبله هذا الدفاع الناجح، إنْ أجره إلا على الله»[1].

بحثَ فيه العلامة عن أصل كلمة الجزية، وقرر أنّها كلمة فارسية (كزية)، وكانت ضريبةً فرضها أنوشروان، وأنَّ الجزية في الإسلام ليست ضريبةً للكفر، وبدلاً عن القتل، كما ظنّها كثيرٌ من الناس، وأشاعه المستشرقون، لينفسحَ لهم المجال لتشويه الإسلام، واتهامه بظلم رعيته من غير المسلمين.

وأثبتَ شبلي في ضوء القرآن والسنة وأحداثِ التاريخ الإسلامي وأقوالِ كثيرٍ من الفقهاء أنَّ الجزيةَ ضريبةٌ لحماية نفوس وممتلكاتِ الرعية من غير المسلمين، وخلفٌ عن النصرة، ومن ثَمَّ استثنيَ بعضُ

---

(١) مقالات السيد أحمد خان: ٧/ ٣٢٥.

الكفار من الجزية في عهد الخلفاء الراشدين لمّا قدّموا أنفسهم للخدمات العسكرية، ورضي المسلمون بقبولهم، وما ذهب إليه شبلي هو رأي كثير من الفقهاء، يقول الإمام السرخسي (ت ٤٩٠هـ) في (المبسوط):

«ثم يأخذ المسلمون الجزيةَ منه خلفاً عن النصرة التي فاتت بإصراره على الكفر، لأنّ مَنْ هو من أهل دار الإسلام فعليه القيام بنصرةِ الدار، وأبدانهم لا تصلحُ لهذه النصرة، لأنّهم يميلون إلى أهل الدار المعادية، فيشوّشون علينا أهلَ الحرب، فيؤخَذُ منهم المال، ليصرَفُ إلى الغزاة، الذين يقومون بنصرة الدار، ولهذا يختِلفُ باختلاف حاله في الغنى والفقر، فإنّه معتبرٌ بأصل النصرة، والفقيرُ لو كان مسلماً كان ينصرُ الدار راجلاً، ووسطُ الحال كان ينصرُ الدار راكباً، والفائق في الغنى يركبُ ويركِبُ غلاماً، فما كان خلفاً عن النصرة يتفاوتُ بتفاوتِ الحال أيضاً»[1].

ويقول الألوسي: «وقد يجابُ بأنّها بدلٌ عن النصرةِ للمقاتِلَةِ منّا، ولهذا تفاوتَتْ، لأنّ كلَّ من كان مِنْ أهلِ دارِ الإسلامِ يجبُ عليه النصرةُ للديارِ بالنفس والمال، وحيثُ إنَّ الكافرَ لا يصلحُ لها، لميلِه إلى دارِ الحربِ اعتقاداً، أُقيمت الجزيةُ المأخوذةُ المصروفةُ إلى الغَزَاةِ مقامَها»[2].

---

(١) المبسوط: ١٠/ ٧٨.

(٢) روح المعاني: ١٠/ ٧٢.

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «لما نشر مقاله هذا: عَجبَ الناسُ من بحثه النادر، وفرحَ به المثقفون من المسلمين فرحاً كبيراً»[1].

٣ ـ حقوق الذميين:

لمّا ألّفَ شبلي (الجزية) بُهت المستشرقون والطاعنون في الإسلام، فأثاروا شبهةً أخرى، وهي أنَّ غيرَ المسلمين لا يتمتعون بحقوق الحياة العامة في البلدان الإسلامية، وخلالَ هذه الفترة حدثت واقعة الأرمن، التي أخمدت فيها تركية ثورة الأرمن بقوة، فأخذَ الكتّاب الأوروبيون في إشاعةِ ما زعموا وافتروا مما يلاقيه غير المسلمين من الاضطهاد في البلدان الإسلامية، فألّفَ شبلي كتابه (حقوق الذميين) وشرحَ فيه أسبابَ ما زعموا من الاضطهاد، وبيّنَ أنَّ الحقوقَ التي يتمتع بها أهلُ الذمة قائمةٌ على أسس العدل، وأنَّ الحكوماتِ الأوروبية عاجزةٌ عن تقديم أيِّ مثالٍ لهذا العدل السامي الذي يرفع الإسلام لواءه.

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «فتحَ هذا البحثُ عيونَ الأعداء المعارضين، وجعلَ الكتاب المسيحيين في موقف الدفاع عن أنفسهم»[2].

---

(١) مقدمة حياة شبلي، ص٢٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٩.

٤ ـ مكتبة الإسكندرية :

استفاد العلامة شبلي من الغرب منهجه العلمي ، وبحوثَه العلمية ، ولكنْ لم ينسَ لحظةً أنَّ المستشرقين أو المؤرخين المسيحيين من أوروبة والبلدان الغربيـة يضمرون في نفوسـهم الحقد والعِدَاء والعصبيـة ضد الإسلام والمسلمين ، فعني بردّ اتهاماتهم الكاذبة ، وافتراءاتهم المختلفة في أسلوب علميٍّ رصينٍ ، وكشف الستار عن القلوب السوداء للكتاب المسيحييـن مـن الغـرب فـي تهمتهـم بـأنَّ المسلميـن أحـرقـوا مكتبـة الإسكندرية ، ومقالته هذه تعتبرُ من أروع ما كتبه .

درس كتبَ المؤلّفين الغربيين من ألمانية وفرنسة وإنكلترة حولَ هذا الموضوع ، وقامَ في كتابه هذا لأوّل مرة بمحاولة تطبيق مبادئ الرواية والدراية بضبط تام ودقة كبيرة ، وزادَ المقال جمالاً وبهاءً أسلوبُه العلميُّ الرصين ، وتنسيق الدلائل والبراهين ، ونثره الشعري الممتع الساحر .

أَلَّفَ الكتابَ سنة ١٨٩٢م ، ردَّ فيه افتراءَ الغرب بأنَّ العربَ أحرقوا مكتبة الإسكندرية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمّا فتحوا الإسكندرية ، وأثبت بدلائلَ وبراهين أنَّ المسيحيين هم الذين أحرقوا هذه المكتبة قبلَ الإسلام بدهرٍ ، وكان في مقدمتهم أحبارهم ورهبانهم ، ولمّا دخلها المسلمون لم يكن فيها أثر للمكتبة ، وكان هذا المقال علمياً دقيقاً شاملاً ، حتى إنّ أوروبة اضطرت إلى أن تعترف بأنها تهمة ملفّقة

ضد الإسلام والمسلمين وهم منها برآء.

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «نال بحثُه هذا قبولاً كبيراً، حتى استسلم المحققون من الكتّاب الأوروبيين له، وقاموا بردّ هذه الفرية الكاذبة»[١].

٥ ـ الانتقاد على التمدن الإسلامي:

ألف شبلي هذا الكتاب باللغة العربية رداً على ما ارتكبه الكاتب المسيحي جرجي زيدان في كتاب (تاريخ التمدن الإسلامي)[٢] من التحامل على العرب عامةً، وعلى خلفاءِ بني أميةً خاصة، والنيلَ من مكانتهم وخدماتهم، وتحريف الكلم عن مواضعه.

لما ألف الأستاذ جرجي زيدان هذا الكتاب أهداه إلى العلامة شبلي النعماني لمشاركة شبلي أحياناً في كتابة البحوث والمقالات في مجلة (الهلال) وللعلاقة العلمية بينهما، فلمّا طالع الكتاب، ثارت حميته الإسلامية وغيرته الدينية، وعصبيته للشعب العربي، فتصدّى للردّ عليه،

---

(١) مقدمة حياة شبلي، ص٣٠.

(٢) ألفه جرجي زيدان المسيحي في خمسة أجزاء، ونال قبولاً كبيراً، لا سيّما بين المستشرقين والمثقفين من المسلمين، ونقله مرغليوث المستشرق الشهير في جامعة أوكسفورد إلى اللغة الإنكليزية، كما نُقِلَ إلى اللغة الأردية، فكان خطرُ الكتاب كبيراً، وكانت الحاجةُ ماسّةً إلى مَنْ يقوم بنقده.

وطالع كتب الجاحظ وغيره من كتّاب العرب المبدعين حتى يتبع أسلوبَهم، فجاء بما يشفي الصدور، ويزيح اللثامَ ويكشف الغبار.

وقد تكررت طبعاته في البلاد العربية والهند.

يقول في مستهل الكتاب: «إنَّ الغاية التي توخّاها المؤلفُ ليست إلا احتقاراً للأمة العربية وإبداء مساويها».

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «نهضَ شبلي، فهدم مباني طعون جرجي زيدان، ونال (الانتقادُ) الإعجابَ والتقديرَ من علماء مصر الذين عرفوا فضله وخضعوا لعلمه»[1].

كان العلاّمة السيد رشيد رضا سأل بعضَ علماء مصر أن يكتبوا الردَّ على كتاب جرجي زيدان، بل كان ينوي نفسُه أن يكتب ردّاً عليه، فلمّا صدر (الانتقادُ) من لكنؤ، فأُعجب به السيد رشيد رضا، ونشره في المنار، ثم في كتاب.

٦ ـ عالمكير:

كان (أورنك زيب عالمكير) آخرَ الملوك المغول الأقوياء في الهند، وعُرِفَ بعلمه، وفضله، وصلاحه، وتقواه، وغيرته الدينية، وحميته الإسلامية، وجهاده في سبيل الله طول حياته، ولا يوجد له نظير

(١) مقدمة حياة شبلي، ص٣٠.

في تاريخ الهند الإسلامية في نضاله لإعادة الهند إلى النظام الإسلامي الخالص، فحاول المؤرّخون البريطانيون تشويهَ سمعة هذا الملك الصالح المجاهد لأغراضٍ سياسية، وافتروا قصصاً لاضطهاده ضد الهندوس، وأشاعوا هذه الأكاذيب إشاعةً كبيرةً، وتبعهم المؤرخون الهندوس الحاقدون، حتى إنَّ بعض المسلمين خضعوا لهذه الأباطيل والأساطير، فلم يقم بإزاحة الستار عنها، والدفاعَ عن هذا البطل المجاهد إلا العلامة شبلي، فردَّ جميعَ المطاعن في تفصيل كبير، وكشف النقابَ عن وجه الحق والصواب، وأصبحَ الكتابُ فريداً في بابه، فنقل إلى لغات شتى.

* * *

الفصل الثاني

مصنفاته في التراجم والسير

أبطال الإسلام:

ابتكر العلامة شبلي النعماني في تأليف سير الرجال وأحوالهم منهجاً علمياً جامعاً بين الدراسة والبحث، والتحقيق والصدق والأمانة، والأحوال الفرعية، ووفرة المعلومات، وجودة الاختيار، وفصاحة اللغة والبيان، وحلاوة اللسان، وأصبح هذا المنهجُ مثالاً يحتذي به الكتّاب والمؤلفون إلى يومنا هذا، وخلف في هذه السلسلة كتباً تعدُّ أمثلَ ما أُلِّفَ في سير الرجال، وعد الأستاذ خليق أنجم مؤلفاته عن أبطال الإسلام معالمَ خالدة[1].

وأشهر ما ألفه في هذه السلسلة: (سيرة النبي ﷺ)، و(الفاروق: حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و(سيرة النعمان: أبي حنيفة، و(المأمون)، و(الغزالي).

---

(١) مقدمة شبلي معاندانه تنقيد كى روشنى مين، ص٨.

١ ـ المأمون:

هذا أول تأليفٍ له منظّم ومنسّق، طبع سنة ١٨٨٨م، يبحث هذا الكتاب في حياة المأمون وسيرته ومآثره، ولكنّه في الواقع عصارة العهد العباسي الزاهر، وتاريخه الحضاري والثقافي، تلقته الأوساط العلمية والثقافية بالقبول، حتى نفدت طبعته الأولى خلال ثلاثة شهور، فطبع مرة ثانية، وتلتها طبعات.

جعل الكتاب في جزئين، تحدّثَ في الجزء الأول عن الخلافة الإسلامية ومبدئها، وكيف انتقلت الخلافةُ من بني أمية إلى بني العباس، ثم كيف قتل الأمين وخلفه المأمون.

وجمع في الجزء الثاني أوضاعَ نظام المملكة، وإدارتها ودخلها، ووضعها العسكري، ونظامها القضائي.

كما تحدّثَ فيه عن حياة (المأمون) وفضائله ومجالسه وأشغاله وحياة عهده، وأثنى على تقدّمه في العلوم، وتدينه، وتشدده في فرائض الإسلام وأعماله، ومحبته للنبي ﷺ، وانتقد غلوّه في معتقداته، واتباعه للمعتزلة في بعض أفكارهم، لا سيّما مسألة خلق القرآن، الأمر الذي أبطلَ محاسنه، وأفسدَ فضائله.

كان هذا أول كتاب باللغة الأردية في موضوع السيرة أُلِّفَ وفق

المنهج العلمي الحديث، ونال الكتابُ قبولاً كبيراً، وانتشاراً واسعاً، حتى إنّ بعض العلماء اشترى منه خمسين نسخة، وأصبحَ العلامة شبلي بعد ذلك يُعَدُّ من الرعيل الأول من مؤلفي اللغة الأردية وكُتّابها النابغين النابهين.

ويزدانُ الكتاب بمقدمة للسيد أحمد خان أشادَ فيها بأسلوب العلامة العلمي والأدبي ولغته الفصيحة التي يحسده عليها أهل دهلي، وبحوثه التاريخية الدقيقة النافعة، وأنه جمع بين الكتابة العلمية والأسلوب الأدبي الرفيع من دون أن يطغى أحدهما على الآخر[1].

٢ ـ سيرة النعمان:

كان العلاّمة شبلي متصلباً في اتباعه للمذهب الحنفي، ويكنُّ حبّاً عظيماً لأبي حنيفة النعمان الإمام، حتى إنّه نسبَ نفسه إليه، وسمي شبلي النعماني، فألف كتاباً حول حياته ومآثره في جزئين، وفرغ منه سنة ١٨٨٩م، وطبع الكتاب سنة ١٨٩٠م.

تناول في الجزء الأول حياةَ الإمام أبي حنيفة، وفي الجزء الثاني موضوعَ اشتغاله بالعقائد والحديث والفقه، وقامَ بمقارنة بين مذهبه والمذاهب الفقهية الإسلامية الأخرى، وقدَّم آخره تعريفاً موجزاً بأصحابِ أبي حنيفة.

---

(١) انظر مقدمة (المأمون) بقلم السيد أحمد خان.

وراعى في كتابه هذا ـ على غرارِ جميع كتاباته ـ مبادئ النقد التاريخي، وإن إجلاله لأبي حنيفة لم يجرّه إلى المغالاة والابتعاد عن الواقع والحق والصدق، بل التزمَ العدل في كلِّ ما كتبَ حتى قال:

«لاندَّعي أنَّ مسائل أبي حنيفة كانت صحيحةً وقطعيةً، كان أبو حنيفة مجتهداً لا نبياً، يمكن أن تصدرُ عنه أخطاء، بل إنَّه أخطأ في مواضع، وقد خالفه أصحابُه في كثير من المسائل، ولا نرى تأويلاً صحيحاً لما ذهبَ إليه الإمام أبو حنيفة في مدّة الرضاعة، ونفاذ قضاء القاضي ظاهراً وباطناً، والقتل بالمثل، وعدم إيجاب الحد في نكاح المحارم، وأمثالها من المسائل»[1].

يقول العلامة ألطاف حسين حالي: «قد صدرت للعلامة عِدّةُ كتب قيمة قبل هذا الكتاب، مثل: (التعليم في العهود الإسلامية الماضية) و(المأمون) و(الجزية)، إنَّ الذروة الشامخة التي ارتفعَ إليها في كلِّ كتاب سابقٍ من كتبه تجلّت فيه كفاءته وسمو فكره هي أعلى منها في اللاحق من كتبه، وإني أرى (سيرة النعمان) ـ على حد معرفتي ـ أعلاها مستوىً»[2].

---

(١) سيرة النعمان، ص٢٥٦.
(٢) العلامة ألطاف حسين حالي، كليات نثر حالي: ٢/ ٢١١.

من أهم بحوث هذا الكتاب تعرّضُه لدعوى المستشرقين بأنَّ الفقه الإسلامي مستفاد من القانون الروماني، فذكر شبلي مزاعمهم ومبانيها، ثم ردّ عليها ردّاً علمياً مقنعاً، وكشف النقاب عن أهوائهم الفاسدة، ونواياهم الخبيثة، ومنهجهم الماكر في لبس الحق بالباطل، وتحريف الكلم عن مواضعه[1].

٣ـ الفاروق[2]:

---

(١) انظر سيرة النعمان، ص٢٠١ـ٢٠٨.

(٢) يقول الشيخ محمد إسماعيل الباني بتي مرتّب مقالات السيد أحمد خان ما ملخّصه: «أراد العلامة شبلي النعماني سنة ١٨٩٢م ـ وهو أستاذ في مدرسة العلوم بعليكره ـ أن يؤلّف كتاباً شاملاً عن حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلم يرضَ السيد أحمد خان بذلك، لخوفه من أن يسوءَ ذلك الموالين والداعمين من الشيعة للكلية، فكتب السيد أحمد إلى الأمير عماد الملك السيد حسين البكرامي الشيعي أن يشيرَ على شبلي بالتراجع عن تأليفه، فردَّ عليه الأمير: «لم ينتج الإسلام إلا فاروقاً واحداً، فيا للويل إن لم تؤلف سيرته، فلا تنه شبلياً عن تأليفها»، وأثنى الأمير على شبلي ثناءً كبيراً، ولكنَّ السيد أحمد خان ألحَّ على منعه، وابتدر أحد أصحابه المنشئ سراج الدين أحمد إلى تأليف كتاب باسم (سيرة الفاروق) في (٣٠٨) صحفات وطبعه قبل أن ينتهي شبلي من تأليفه، وكان الناسُ في انتظار وشوق كبير، فكتب السيد أحمد خان مقالاً قال فيه: «لما أراد هذا الرجل (شبلي) الذي يشبه السلف في العلم وجودة التأليف وحسن التنسيق أن يؤلّف كتاب (الفاروق) وجمعَ له مواد=

هذه سيرةٌ مفصّلة شاملة موثقة لأمير المؤمنين (عمر الفاروق رضي الله عنه) ويعتبر كتابه هذا درة قيمة من بين مؤلفاته، يرى العلماء أنّه يفوق جميع الكتب التي تناولت موضوعَ حياة أمير المؤمنين عمر الفاروق - رضي الله تعالى عنه - في اللغات العربية الفارسية والأردية.

بدأ الكتاب بمقدمة تحدّث فيها عن عهود التاريخ الإسلامي المختلفة ومزاياها، وواجبات المؤرخ، كما استعرضَ حملات المؤرخين الأوروبيين.

جعل الكتاب في جزأين، تحدّثَ في الجزء الأول عن نسب عمر الفاروق - رضي الله تعالى عنه - ومولده ونشأته، وإسلامه، وهجرته واستخلافه، وفتوحه وانتصاراته، وفي الجزء الثاني ألقى نظرةً على فتوح العهد العمري، ثم ناقشَ أسباب هذه الانتصارات والفتوح، والعوامل من ورائها، ثم تحدّث عن كفاءته النادرة في إدارة المملكة، كما قرر أنَّ

= كثيرة لا يسهلُ الحصول عليها، ولا يتمكنُ منها كلُّ واحد، ولم يزل مشتغلاً بالجمع، فإنّه لم يكن يليق بصديقنا المنشئ سراج الدين أحمد أن يؤلِّف كتاباً حول هذا الموضوع، بل كان عليه أن ينتظرَ تلك الرحمة التي قدّر الله تعالى أن يفيضَ بها على البلاد بواسطة العلامة شبلي. وقال السيد أحمد خان: «إذا كان أهلُ البلاد يألفون كتابات شبلي، فإنّهم يوقنون بأنّه لو كتب عشرةُ رجال حولَ موضوع واحد، لامتازَ بينهم شبلي بمنهجه الفريد، فلا يهمه إذا كان غيرُه قد كتبَ حول الموضوع» مقالات السيد أحمد خان: ٧/ ٣٢٣-٣٢٨.

حكومته كانت أقربَ إلى الديمقراطية[1]، ثم حشد معلوماتٍ وأخباراً

(١) مما يؤخذ على العلامة شبلي في كتابه هذا أنّـه كان يرى الديمقراطية أفضلَ مذهبٍ سياسي، فأكد لعلماء أوروبةَ أنَّ الديمقراطية ليست غريبةً عن الإسلام، بل إنّها روحُ نظامه السياسي، وأكبر مثال على ذلك حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إنَّ هذا المنهج الاعتذاري الذي تبناه شبلي وغيره من الكتاب المسلمين في ذلك العصر يدلُّ على انبهارِهم الرهيب ببعض الشعارات الغربية، وخلطهم الشنيع بين دين الله الكامل وبينَ الأنظمة الوضعية الفاسدة التي لم ينزل الله بها من سلطان، يقول الشهيد سيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، ص٧٦: «ليست وظيفةُ الباحث الإسلامي حين يعرضُ للحديث عن النظام الإسلامي أن يلتمسَ له المشابهَ والموافقات مع أيِّ نظامٍ آخر قديم أو حديث، فهذه المشابه والموافقات ـ فضلاً عن أنها سطحية وجزئية، ووليدة مصادفات في الجزئيات، لا في التصور العام والنظرة الأساسية ـ لا تكسب الإسلام قوةً كما يظنُّ بعض المهزومين، وطريقهم الصحيح أن يعرضوا أسسَ دينهم لذاتها، وبإيمان كامل بأنّها أسسٌ كاملة، سواء وافقت جميعَ النظم الأخرى أو خالفتها جميعاً، ومجرّد تطلّب التأييد لنظم الإسلام من مشابه وموافقات مع النظم الأخرى هو إحساسٌ بالهزيمةِ كما قلنا، لا يقدِمُ عليه باحثٌ مسلمٌ يعرف هذا الدين حقَّ معرفته، ويبحثه حق بحثه». ويقول في الكتاب نفسه، ص٧٨: «كذلك لم أستسغ حديثَ من يتحدّثون عن (اشتراكية الإسلام) و(ديمقراطية الإسلام).. وما إلى ذلك من الخلط بين نظام من صنع الله سبحانه وأنظمةٍ من صنع البشر، تحمِلُ طابعَ البشر من النقص والكمال، والخطأ والصواب، والضعف والقوة، والهوى والحق.. بينما نظامُ الإسلام الرباني بريءٌ من هذه الخصائص، كاملٌ شاملٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه».

ممتعة عن تقاسيم البلدان والوظائف الحكومية، والرواتب، وطرق ردع الرشاوى، وتحدّث بشيء من التفصيل عن الموارد، والنظام القضائي وغيرها من مصالح الإفتاء والشرطة والجيش والمال والدفاع.

وبعد ذلك عالج موضوع إمامة عمر رضي الله عنه واجتهاده وأحواله الشخصية وأخلاقه ثم أهله وأولاده، تم الكتاب سنة ١٨٩٨م وطبع سنة ١٨٩٩م.

استفاد في إعداده لهذا الكتاب العلمي الجليل من مصادر موثوقة كثيرة، بل إنّه خلال رحلتِه لبلدان العالم الإسلامي قامَ بجمع المواد اللازمة من المكتبات العلمية الكبرى، وكان قد طالع من قبلُ كتب عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وأحمد بن إسحاق اليعقوبي، وأحمد بن يحيى البلاذري، وأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، وابن الأثير، والسمعاني، والذهبي، وأبي الفداء، والسيوطي، كما كان قد طالع تراجم مؤلفات (كين) و(كارلايل) و(بكل) و(هيجل) و(رينكي) وغيرهم من علماء الغرب.

وعني بالتثبت والحزم في أخذ الروايات وتطبيق مبادئ الدراية والرواية وجمع الأحداث التاريخية ببصيرةٍ نافذةٍ، وعقل نابهٍ، وقلبٍ يقظ.

ولما طبع الكتاب اعترف العلماء أنَّ المؤلف قد بالغَ في تحرّي

الصدق والعدالة في تأليف كتابه على غرار مؤلفاته الصادرة من قبلُ، وقد نقل الكتـاب إلى الفارسـية والتركية والإنكليزيـة، ويا حبذا لو نُقِلَ إلى اللغة العربية.

يقـول الإمام السـيد أبو الحسـن علي الندوي رحمه الله تعالى: «صادفتُ كتاب (الفاروق) للعلامة شبلي النعماني الذي صدر من مطبعة نـامي بكانفور، ففُتِنْتُ بالتصويـر الصادق والعرض السـاحر، وقرأتـه مرات، ولعلَّ تأثير حروب العراق: (البويب، والجسر، والقادسية) بقلم العلامة شـبلي النعماني بجملـه الموجزة السلسـة الأخاذة، العفوية غير المصطعنة، تفوقُ تأثير الأشعار المتسلسلة للفردوسي، وألفاظه المنمقة المفخمـة المبالغ فيها، إنَّ ألفاظ (الفاروق) الفخمـة وحرارة جملـه وعبارته تنزل كالصاعقة، وتمضي كالسيوف والأسنّة، إنّ المجهود الذي بذله العلامة للدفاع عن نظام الخلافة كان فوق وعيي واستعدادي في ذلك الوقت لإدراكه وفهمه، ولم يعد يهمني اليوم علمياً[1]، ولكنّ الجزء الذي يشتمل على عرض الوقائع وتصوير الحوادث كان قد خلف تأثيراً عميقاً في نفسي في تلك الأيام، ولم يزل يحمل بعضَ ذلك التأثير إلى اليوم»[2].

---

(١) لعلّه يشير إلى ما قام به شبلي من تقريب نظام الإسلام إلى الديمقراطية.

(٢) الإمام السيد أبو الحسن علي الندوي: شخصيات وكتب، ص١٥٢.

٤ ـ سيرة النبي ﷺ:

هذا هو المنزل الذي انتهت إليه رحلته العلمية، فهو آخر كتاب تشرّفَ بتأليفه، كان ينوي أن يتمَّ الكتاب في عدة أجزاء حتى يستقصي الموضوع من جميع نواحيه، ولكنّه لم يؤلِّفْ إلا جزأين حتى وافاه الأجل، ثم قام تلميذه العلامة السيد سليمان الندوي بإتمام الكتاب في سبعة مجلّدات كبار.

ألف الكتاب ردّاً على الكتب التي ألفها المستشرقون المسيحيون الحاقدون على الإسلام، والناقمون من نبيّه ﷺ، والتي أثاروا فيها شبهات واهية حول حياة النبيِّ ﷺ تنمُّ عما تكنُّ صدورهم، وتضمِرُ نفوسُهم من حقد وحسد وعداء، وقد سبقَ أن ألف السيد أحمد خان (الخطب الأحمدية) والقاضي محمّد سليمان المنصوربوري كتابه (رحمة للعالمين)، ولكنَّ كتاب (سيرة النبي ﷺ) للعلامة شبلي النعماني يفوقهما في التحقيق العلمي وإقناع العقول الحديثة، فإنّ العلامة شبلي كانت له معرفةٌ دقيقةٌ باعتراضات المستشرقين وخلفياتهم العقلية والفكرية، ثم إنّه يمتاز بتقديم دلائله وبراهنه في أسلوب علمي جادّ رصين، لا يبقى للدارس بعدها مجالٌ للشك والاختلاف، وزد على ذلك أنه يبزّ معاصريه جميعاً في السليقة الكتابية، وفصاحة اللغة، وجودة البيان والملكة النادرة، حتى إنّه يتحَكّم في عقول القراء، ويستولي عليها

من خلال عباراته الأدبية الساحرة.

بدأ تأليف السيرة سنة ١٩١٢م وظلّ مشتغلاً به إلى آخر أيام حياته، وافتتح الكتاب ببيت من الشعر باللغة الأردية يقول فيه: «يتناجى الملائكةُ أنَّ حياة سيد العالم ﷺ لا يمكن أن يوفّي حقَّ تأليفها إلاّ كاتبُ السماء أو الروح الأمين جبريل عليه السلام، إذ علا نداءٌ من رب العالمين إنَّ هذا أمر لا يقدِرُ عليه إلا الله جلّ جلاله وعزّ شأنه».

ويقول في بيت آخر: «مدحتُ العجمَ، وأثنيتُ على بني العباس، لأنّه قُدِّرَ لي أن أقرعَ أبوابَ الأجانب مدةً من الزمان، ولكنني أؤلف الآن حياةَ خاتم النبيين ﷺ، فالحمد لله والشكر له أن وفقني لحسن الخاتمة».

أصبح الكتاب موسوعةً علمية كبيرة في السيرة النبوية، ويرى علماء الهند أنَّ المكتبات العالمية بما فيها المكتبة العربية تفتقر إلى مثل هذا الكتاب، ونعتقدُ أنّ ترجمة هذا الكتاب إلى أيِّ لغةٍ عسيرٌ جداً، فالأسلوب الأدبي والعلمي الرصين الذي تمتاز به كتابات شبلي لا يمكن نقله بالترجمة.

بدأ الكتاب بمقدمة عالج فيها موضوع أصول الرواية والدراية ومصادر السيرة المنتشرة في كتب الحديث والتاريخ والسيرة والتفسير، وأهم العناوين التي ناقشها في المقدمة هي: ١ـ الحاجة إلى تأليف سيرة النبي ﷺ، ٢ـ فضل النبي ﷺ على غيره من النبيين، ٣ـ مصادر السيرة

الأولية، ٤ـ كتابات عهد النبي ﷺ، ٥ـ المغازي، ٦ـ الإمام الزهري والسيرة النبوية، ٧ـ أصحاب الإمام الزهري في السيرة، ٨ـ موسى بن عقبة والسيرة، ٩ـ محمد بن إسحاق والسيرة، ١٠ـ الواقدي والسيرة، ١١ـ ابن هشام والسيرة، ١٢ـ ابن سعد والسيرة، ١٣ـ الإمام البخاري والسيرة، ١٤ـ الإمام الطبري والسيرة، ١٥ـ قائمة أسماء المتقدمين من علماء السيرة[1]، ١٦ـ قائمة أسماء المتأخرين من علماء

---

(١) ذكر فيها عروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، والشعبي (ت١٠٩هـ)، ووهب بن منبه (ت١١٤هـ)، وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري (ت١٢١هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، ويعقوب بن عتبة بن مغيرة بن الأخنس ابن شريق الثقفي (ت١٢٨هـ)، وموسى بن عقبة الأسدي (ت١٤١هـ)، وهشام ابن عروة بن الزبير (ت١٤٦هـ)، ومحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥٠هـ)، وعمر بن راشد الأزدي (ت١٥٢هـ)، وعبد الرحمن بن عبد العزيز الأوسي (ت١٦٢هـ) ومحمد بن صالح بن دينار التمار (ت١٦٨هـ)، وأبا معشر المدني (ت١٧٠هـ)، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن المخزومي (ت١٧٠هـ)، وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري، وعلي بن مجاهد الرازي الكندي (ت١٨٠هـ)، وزياد بن عبد الله ابن الطفيل البكائي (ت١٨٤هـ)، وسلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري (ت١٩١هـ)، وأبا محمد يحيى بن سعيد بن أبان الأموي (ت١٩٤هـ)، والوليد ابن مسلم القرشي (ت١٩٥هـ)، ويونس بن بكير (ت١٩٩هـ)، ومحمد بن عمر الواقدي الأسلمي (ت٢٠٧هـ)، ويعقوب بن إبراهيم الزهري (ت٢٠٨هـ)، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ت٢١١هـ)، وعبد الملك بن هشام=

السيرة[1]، ١٧ـ الرواية والدراية، ١٨ـ تدوين علم أسماء الرجال، ١٩ ـ مبادئ الدراية عند المحدثين، ٢٠ـ قواعد في معرفة الوضع في الحديث، ٢١ـ أمهات كتب السيرة، ٢٢ـ الفرق بين كتب الحديث وكتب السيرة، ٢٣ـ اختلاف الرواة ٢٤ـ الرواية بالمعنى، ٢٥ـ أخبار الآحاد، ٢٦ـ المستشرقون والسيرة النبوية، ٢٧ـ وأسباب أخطاء المستشرقين.

= (ت٢١٣ أو ٢١٨)، وعلي بن محمد المدائني (ت٢٢٥هـ)، وعمر بن شبة البصري: (ت٢٦٢هـ)، ومحمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، وإبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (ت١٨٥هـ)، وأبا بكر أحمد بن أبي خيثمة البغدادي (ت٢٩٩هـ)، ومحمد بن عائذ الدمشقي. (مقدمة سيرة النبي، ص٣٥ـ٣٨).

(١) ذكر فيها: الروض الأنف لعبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ)، والمختصر في سيرة سيد البشر للحافظ عبد المؤمن الدمياطي (ت٧٠٥هـ)، والسيرة لعلاء الدين علي بن محمد الخلاطي الحنفي (ت٧٠٨هـ) والسيرة للشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني (ت٦٩٤هـ)، والسيرة ليحيى بن حميدة (ت٦٣٠هـ)، وسيرة المغلطاي، وشرحها كشف اللثام لبدر الدين العيني، وشرف المصطفى للحافظ أبي سعيد عبد الملك النيسابوري، وشرف المصطفى لابن الجوزي، والاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء للحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (ت٦٣٤هـ)، والدرر للحافظ أبي عمر ابن عبد البر، وعيون الأثر لابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ)، ونور النبراس في سيرة ابن سيد الناس لإبراهيم بن محمد، والسيرة المنظومة للحافظ زين الدين العراقي، والمواهب اللدنية للقسطلاني، وشرح الزرقاني على المواهب، والسيرة الحلبية. (مقدمة سيرة النبي، ص٣٩ـ٤٠).

لا يدور الكتاب حول سيرة النبي ﷺ فحسب، بل يتناول المواضيع الإسلامية بكاملها من العقائد والعبادات والمعاملات والمعجزات والأخلاق، كأنه سيرة النبي ﷺ بمعناها الواسع الشامل.

ومما يمتاز به تحرّي المؤلف في اختيار الأخبار الصحيحة، وعدم الاعتماد على الواقدي وأمثاله، وبذل التحقيق والبحث الدقيق في الأحداث، والكتاب حافل بأمثلة التحقيق النادرة.

وهنا أكتفي بمثال واحد، وهو عن وقعة بدر، ذهب عامة المؤرخين وأصحاب السير والمغازي إلى أنَّ النبي ﷺ بلغه خبرُ العير المقبلةِ من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وخرجَ في ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، فبلغ أبا سفيان مخرجُ رسول الله ﷺ وقَصْدُه إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوها من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، فجمعهم الله على غير ميعاد.

وأما شبلي فذهب إلى أنَّ النبيَّ ﷺ لم يخرج لعير قريش، وإنما خرج لحرب قريش، وألخص هنا ما استدل به:

«يقول الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ

وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٧]، ففي هذه الآيات وجوه:

١ ـ الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ بمعنى الحال التي تقتضي استصحابَ كراهيتهم لخروجه من البيت.

٢ ـ تنصُّ الآية على وجود الطائفتين: عير قريش، وجيش قريش، وقت خروجه من المدينة.

٣ ـ وتنصُّ الآيـة على أنَّ الله أرادَ أن يقطع دابـر الكافرين، فهل يمكنُ أن لا يريدَ النبيُّ ﷺ ما أراده الله تعالى؟.

٤ ـ خـرجَ النبيُّ ﷺ ومعه أكثر من ثلاثمئـة نفس من المهاجرين والأنصار، وفيهم من أمثال حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب الذين يساوي كل واحد منهم جيشاً، ومع ذلك فالقرآن يقول: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾، فهل يُـرجى منهم هذه الكراهيـة والجدال في الحق لـو كان خروجهم لعير قريش، وقد خرج المسلمون في عدد أقل من هذا قبل ذلك غير مرة لقوافل قريش ولم يصبهم شيء، فلمَ هذا الخـوفُ كلّه ومعهم جيشٌ كبير؟، فهذا يدل على أنَّ المسلمين كانوا قد وصلهم الخبر وهم في المدينة بأنَّ قريشاً خارجون في جمع عظيم.

٥ ـ وهنالك آية أخرى نزلت في بدر، والنبيّ ﷺ في المدينة، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ﴾ [النساء: ٩٥].

وأخرج الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر[١].

كما أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابنُ أمِّ مكتوم، فشكا ضرارته، فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾[٢]، فدلَّ ذلك على أنهم علموا وهم في المدينة أنَّ الخروجَ ليس لغيرِ ذات الشوكة، وإنّما هو الجهادُ بالمال والنفس.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٤٧]، لو كان خروجُ قريشٍ لمنعِ عيرهم لم يصفهم الله تعالى بالبطر ورئاء الناس والصدّ عن سبيل الله».

ثم ذكر شبلي الأخبار الواردة في بدر التي تصرّحُ بأنَّ النبيَّ ﷺ

---

(١) الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة النساء.
(٢) الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة النساء.

استشارَ الأنصار قبل خروجِه من المدينة، كما ناقش ما استدلَّ به أصحابُ السير على أنَّ النبي ﷺ إنّما خرج لعير قريش.

ثم تحدَّثَ عن الدافع وراء وقعة بدر، فذكر قول عروة بن الزبير: وكان الذي هاج وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين مشركي قريش ما كان من قتل واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي[1]، وأطال شبلي في استدلاله على رأيه، والرد على مخالفيه، وهو مبحثٌ عظيمٌ نافعٌ ممتع، فمن أراد التفصيل فليراجعه[2].

وقد نُقِلَ الجزء الأول إلى اللغة الإنكليزية وطبع في باكستان، وإلى عدة لغات محلية، وإلى اللغة التركية، ويا حبذا لو نقل بكامله إلى اللغة العربية.

* * *

(١) تاريخ الطبري، ص١٢٨٤.
(٢) انظر: سيرة النبي: ١/ ٢١٠ـ٢٢١.

الفصل الثالث

مصنفاته في الكلام

من أبرز صفات شبلي ومزاياه أنّه كان متكلّماً إسلامياً، وكان قد درس الفلسفة، ورأى أنَّ كُتب علم الكلام القديمة لا تكفي لإقناع العقول الحديثة، فدرس آراء الغرب، ونوى تأليف كتابٍ في علم الكلام، وألّف كتابين، أحدهما حولَ تاريخ علم الكلام، والثاني حول مسائل علم الكلام

١ ـ علم الكلام:

هذا الكتاب يبحث في تاريخ علم الكلام، استعرضَ فيه مبدأَ علم الكلام ونشأته وتطوره عبر العهود المختلفة، وذكر أفكار وآراء الجماعات المختلفة للمتكلّمين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وقام بمقارنة بينها، وذكر أحوال المتكلمين المشهورين.

ذكر أولاً مبدأ اختلاف العقائد في الإسلام، ثم ألقى الضوءَ على تدوين علم الكلام ونشره ومذاهبه وتطوره حتى القرن الخامس الهجري، ثم استعرض تفاصيلَ علم الكلام الأشعري، وذكر مآثر مؤلفات المتكلمين

الأشاعرة كالغزالي والرازي، ثم استعرضَ أعمال ابن رشد وابن تيمية والشاه ولي الله المحدّث الدهلوي، وعقد باباً مستقلاً للبحث في أفكار وآراء فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن مسكويه وشيخ الإشراق السهروردي، وأخيراً قام بتعليق مجمل على علم الكلام.

يقول في مقدّمة الكتاب: «يواجه الإسلامَ اليومَ خطراً أكبر مما واجهه في عهد العباسيين، ما مِنْ بيتٍ من البيوتِ إلا وقد دخلته العلوم الغربية، وقد بلغ التحرر إلى حد أنَّ القول بالباطل أصبحَ أيسر، مما لم يشهده القول بالحق في الماضي، قد تعرّضت الأفكارُ الدينية اليوم لزلزال، وانبهرتِ الطبقةُ المثقفة ببريقِ الحضارة الحديثة، حينما يرفع العلماء القدماء رؤوسهم من نوافذ زواياهم يرون أفقَ الدين أصابه سواد وغبار».

«يرتفع الصوت من كلِّ جانب بالحاجة إلى علمٍ للكلام جديد، قد اعترف الجميع بهذه الحاجة، لكنِ اختلفوا في أصوله، فالطبقة المثقفة تذهب إلى تأسيس علم الكلام الجديد على مبانٍ جديدةٍ، لأنَّ المطاعن التي وجهت إلى الإسلام في الماضي قد تغيّر وضعُها، في الماضي واجهنا الفلسفة الإغريقية القائمة على القياس والظن، أما اليوم فنواجه البديهيات والتجربة حيث لا ينفعُ القياسُ العقلي المحض».

«لكننا لا نوافق هذا الرأي، إنَّ أجزاء علم الكلام التي لا تنفع اليوم

كانت كذلك غير مجدية في الماضي، وما كان منها نافعاً في الماضي نحتاجُ إليه اليوم وإلى الأبد، فلا يتغير صدق شيءٍ وصحتُه بتطوّر العصور والدهـور، ومن ثَمَّ نويـتُ منذ فترة أن أرتّبَ علم الكلام على مبادئـه القديمة وفق المنهج العلمي الحديث، فرأيتُ لزاماً أن أبدأ بتأليف تاريخ مفصّل لعلم الكلام وذلك لسببين:

«١ ـ إنّ علم الكلام الذي نقصد إلى تأليفـه ـ مهما كان منهجـه وأسلوبه ـ لا بدَّ أن لا ينحرفَ عن المبادئ والقواعد التي رسمها السلف الصالح، وذلك يقتضي أن تُذكـر المبادئ والقواعد التي تبناهـا أئمـةُ الإسلام في العهود المختلفة، وما هي التطورات التي مرّت بها. . . ».

«٢ ـ إنَّ التطورَ الذي مرَّ به التاريخ عند أهل الغرب أنهم تجاوزوا تاريخ الأشخاص والشعوب إلى تاريخ العلوم والصناعات، فمثلاً متى نشـأ هذا العلم؟ ما هي الأسـباب التي نشأ من أجلها، وكيف تطوّرَ عبر العصور، وما هي التغيّرات والتقدمات التي شهدها، وما هي عواملها؟ لم يكن ألف كتاب من هذا النـوع في اللغة الأرديـة، بل وفي اللغتين العربية والفارسية. . . فتأليفُ تاريخِ علم الكلام يفي بحاجة أساسية من الكتابات الإسلامية»[1].

---

(١) علم الكلام، ص٣ ـ ٥.

لا نخطئ إذا قلنا: إنّ هذا الكتاب قد جمع معارفَ ومعلوماتٍ عن تاريخ علم الكلام لم يجمعها كتابٌ غيره في اللغة الأردية، فكأنّه احتل مكانةَ الصدر، ومع أنَّ الكتابَ حول موضوع علمي بحت، ولكن أسلوبه أسلوبٌ حي ممتع، ألف هذا الكتاب سنة ١٩٠٣م.

٢ ـ الكلام:

حاول في هذا الكتاب تأسيس منهج جديد في علم الكلام، كان يرى أنَّ المنهج القديم لا ينفع شيئاً في العصر الحديث، بل إن الحياة العلمية المعاصرة تحتّم ضرورةَ تأليفٍ جديدٍ في الكلام.

كتب في بداية كتابه (الكلام):

«كان علمُ الكلام القديم لا يبحث إلا في العقائد الإسلامية، لأنّ المعارضين للإسلام لم يكونوا يطعنون إلا في المعتقدات، ولكنّ العصر الحديث يختبر الدين، ويجرّب حيويته في جميع المجالات من التاريخ والأخلاق والمدنية والحضارة، فأوروبة لا تطعن في عقائد الدين مثل ما تطعن في مسائله القانونية والخلقية والحضارية، إنّها ترى أنَّ إباحةَ تعدد الزوجات والطلاق والرق والجهاد في دين أكبر دليل على بطلانه، فلا بدّ لعلم الكلام الحديث من معالجة هذه القضايا».

قسم علم الكلام إلى ثلاثة أجزاء: العقائد والعبادات والأخلاق،

ولكنه أسهبَ وأطالَ في معالجة موضوع العقائد، قدّم فيه عقائد التوحيد، والرسالة، والقيامة، والجنة والنار، في ضوء الدلائل والبراهين الحديثة، طُبع هذا الكتاب سنة ١٩٠٤م.

٣ـ الغزالي:

ألف هذا الكتاب في حيدر آباد سنة ١٩٠١م، ألقى فيه الضوء على حياة الغزالي وآرائه وأفكاره، وليس في الكتاب من عنصر السيرة إلا ثلاثين صفحة تقريباً، ويدورُ الكتاب كلّه حول الغزالي المتكلِّم الفيلسوف المتصوف الأخلاقي.

الواقع أن كتابه هذا لا يعالج موضوع حياة الغزالي من ناحية سيرته وأحواله الذاتية، إنّما يتناول موضوعَ فكر الغزالي الذي لا يزال يسيطر على دنيا العلم رغم تطور الزمان.

وأشاد العلامة بكتاب (إحياء علوم الدين) إشادةً كبيرةً، ولكنّه انتقدَ الغزالي في عدم تثبته وحيطته في رواية الأحاديث والأخبار والآثار، فقد تضمّنَ (إحياء علوم الدين) قصصاً وأخباراً لا تمتُّ إلى الصحة والصدق بصلة، بل هي أقربُ ما تكون إلى الأساطير والخرافات.

٤ ـ حياة جلال الدين الرومي:

ألف هذا الكتاب كذلك خلال إقامته بحيدرآباد، وهذا الكتاب

كذلك لا يتحدّث عن حياة الرومي إلاّ في صفحات قليلة، وإنّما قام فيه باستخراج المسائل الكلامية من (مثنوي) الرومي، ألفه سنة ١٩٠٤م وطبع سنة ١٩٠٦م.

كان الناس يعتقدون أنَّ (مثنوي) جلال الدين الرومي لايتناول إلاّ موضوع التصوف، فقرر العلامة أنّ الملا جلال الدين الرومي قد ناقشَ في ثنايا الكتاب كثيراً من مسائل الكلام وبحوثه الدقيقة، يقول شبلي:

«هذا رابع كتاب في سلسلة (الكلام)، قد طبع قبله ثلاثة أجزاء: (علم الكلام) و(الكلام) و(الغزالي) يعرفُ العالم جلال الدين الرومي لتقدمه في التصوف والزهد، فلعلّ الناس يستغربون إدخاله في سلسلة المتكلمين، والكتابة حوله من هذه الناحية، ولكنّ حقيقة علم الكلام عندنا أن يضفي على عقائد الإسلام وحقائقه ومعارفه بشرح وبيان تسري به في النفوس، وتستقرّ في العقول والأذهان، وقد قام الرومي بأداء هذه الفريضة في منهج رائع قلّما يوجدُ له نظير»(١).

ومن أهم المواضيع الكلامية التي استخرجها شبلي من (المثنوي): التوحيد، وأسماء الله تعالى وصفاته، والنبوة، وحقيقة الوحي، ومشاهدة الملائكة، والإيمان بالنبوة، والمعجزة، وهل المعجزة شهادة على النبوة أو لا؟ والروح، والمعاد، والجبر، والقدر، والعبادات، والصلاة، والصيام، والحج.

---

(١) مقدمة الكتاب.

لما وصل إلى العلامـة ألطاف حسـن حالي كتابه هذا كتب إليه:
«لا أريد الإشادة بمؤلفاتكم، إنّ من عرف منزلتكم في التصنيف كلَّ لسانُه، إنَّ وجودكم مفخرةٌ للشعب المسلم، أطالَ الله بقاءكم»[1].

مما يؤسف له أنه اعتمد على الإمامين الغزالي والرازي في شرح العقائد الإسلامية، وتجديد علم الكلام، ولم يجتهد في الرجوع المباشر إلى الكتاب والسنة لاستنباط أصول الكلام، ولم يطلع على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلا في آخر أيام حياته، فلمَّا اطلع عليها أُعجب بها إعجاباً بالغاً، وعرف فضل مذهب المحدثين والسلف على مذاهب المتكلمين والفلاسـفة، ولكن لم يجد فرصـةً كافيةً لإصـلاح منهجه، يقول في إحدى رسائله: «إنَّ التأليف عن حياة الإمام ابن تيمية لفريضة أولى، سقط الغزالي والرازي من عيني بعد أن اطلعت على هذا الرجل»[2].

* * *

---

(١) العلامة ألطاف حسن حالي، كليات نثر حالي: ٢/ ٢٧٥.
(٢) مكاتيب شبلي: ٢/ ١٥٥.

الفصل الرابع

مؤلفاته في الأدب والشعر والنقد

كان العلامة شبلي النعماني مؤرّخاً متكلّماً، وعرف بذلك في الأوساط العلمية، ولكنّه اشتهر كذلك كأديب وناقد وشاعر، وكانت له ملكة فطرية قوية يقدِرُ بها على التمييز بين حسن الكلام وقبحه، وقد أجمعَ معاصروه على أنّه يفوقهم بسليقته الكتابية وفصاحة اللغة وجودة البيان والأسلوب الشعري الساحر.

يقول الأستاذ خليق أنجم: «كان العلامة شبلي بحاثة كبيراً في اللغتين الفارسية والأردية وأديباً وناقداً»[1].

١ ـ الموازنة بين أنيس ودبير:

تُعْرَفُ سوق عكاظ بمعاركها الأدبية والشعرية الرائعة، التي قلّما يوجَدُ لها نظير في تاريخ أي لغة من لغات العالم، وفي هذه السوق

---

(١) مقدمة شبلي معاندانه تنفيذ كي روشني مين، ص٨.

وأمثالها من أسواق العرب نشأ وتطوّر نوعُ التحاكم الأدبي، والموازنة بين الشعراء، ولم يَزل هذا التقليد مستمرّاً ومتواصلاً في اللغة العربية، فسجّلَ التاريخُ لنا المعارك الأدبية بين الفرزدق وجرير والأخطل، والموازنة بين الشعراء المعروفين، كالموازنة بين أبي تمام والبحتري لحسن بن يحيى الآمدي المتوفى سنة ٣٠٠هـ.

لم يتطور هذا النوع من الأدب في اللغة الأردية تطوره في اللغة العربية، ومع ذلك فإنَّ تاريخ اللغة الأردية يسجّلُ لنا معارك أدبية عديدة رائعة، كالمعارك الأدبية بين (سودا ومير) و(إنشاء وعظيم) و(ذوق وغالب) و(آتش وناسخ) و(أنيس ودبير) وهذان الأخيران قام العلامة شبلي بالموازنة بينهما.

(مير ببر علي أنيس) (ت١٨٧٤م) و(مرزا سلامت على دبير) (ت١٨٧٥م) شاعران كبيران من شعراء المراثي باللغة الأردية، وكان في المفاضلة بينهما خلافٌ كبيرٌ، فألف شبلي كتابَه هذا، وفضّلَ أنيساً على دبير من النواحي المختلفة، بحيث لا يمكن لأحد بعدَه أن يحدث تغييراً جذرياً في هذا الرأي، وإن جميع أولئك الذين ردوا عليه لم يكتب لهم القبول والانتشار، ولا يزال كتاب العلامة شبلي إلى يومنا هذا يحتلُّ مكانةً مرموقةً في المقررات الدراسية في الكليات والمدارس الرسمية وغير الرسمية، ألف هذا الكتاب سنة ١٩٠٤م وطبع سنة ١٩٠٦م.

يقول الأستاذ خليق أنجم: «تعد (الموازنة بين أنيس ودبير) من أفضل الكتابات النقدية»[1] .

يقول الأستاذ أمير حسن نوراني: «ألف العلامة شبلي النعماني (الموازنة بين أنيس ودبير) فمنّ على الأدب الأردي منّةً كبيرة، يرجع إليه الفضل في عناية أهل الذوق بهذا الشأن، فضّل شبلي أنيساً على دبير، فلم يوافقه بعض الناس، وأُلف (الميزان) في الرد عليه... وبصرف النظر عن المخالفة والرد فإن (الموازنة) مأثرةٌ خالدةٌ لشبلي، لم يستغنِ عنها حتى المعارضون له»[2] .

٢ ـ شعر العجم:

هذا كتابٌ أدبيٌّ رفيعُ المستوى، يخضع لسحره الأدباء والشعراء طبعت أربعةُ أجزاء منه في حياة المؤلف، والجزء الخامس بعد وفاته.

يقول الإمام السيد أبو الحسن على الندوي رحمه الله تعالى: «وهو من أفضل مؤلفاته، أقرَّ له علماء هذا الشأن بالفضل والجودة»[3] .

يقول أستاذ اللغة الفارسية نذير أحمد وهو يشيد بفضل هذا الكتاب:

---

(١) مقدمة شبلي معاندانه تنقيد كي روشني مين، ص٨ .
(٢) أردو كي أدبي معركي ، ص١١٥ ـ ١١٦ .
(٣) نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٥ .

«نال هذا الكتابُ شهرةً، وحظي به العلامة قبولاً لم يخطر بباله، قد مضى على تأليفه نحو سبعين سنة، وقد توفّرت خلال هذه المدة الطويلة مواد علمية كثيرة في اللغة الفارسية لم تكن في متناول يديه، ولكن لم يظهر إلى الآن كتاب مثله في الموضوعات التي عالجها، ولا يزال كتابه هذا يعتبر أول أثر أدبي، ودوّنه رغم ضآلة الوسائل وقلّة المصادر تدويناً بديعاً، لا يزال يسود وحده ـ ودون منازع ـ ساحة الشعر والأدب الفارسي منذ سبعين سنة».

يتناول الكتاب تاريخ الشعر الفارسي فقسّمه إلى عهود ثلاثة: المتقدمين، والمتوسطين، والمتأخرين، وأفردَ لكلٍّ عهدٍ جزءً وخصّص الجزئين الرابع والخامس لاستعراض شاملٍ لحقيقة الشعر والشعر الفارسي وأصنافه وتطورها.

نال هذا الكتاب قبولاً كبيراً في الأوساط والدوائر الأدبية في الهند وصدرت له طبعات عديدة، وقد قررته بعضُ الجامعات في مناهجها الدراسية، ونقل بعضُ علماء إيران وأفغانستان الأجزاء الخمسة إلى اللغة الفارسية، واعترف بفضل الكتاب أساتذةُ إيران، واعتبروه أهم مصدر لتاريخ الشعر الفارسي(١).

---

(١) انظر: دكتر محمد معين، فرهنك فارسي: ٥/ ٨٨٦.

يقول الشيخ إكرام: ألف العلامة شبلي (شعر العجم) فبعثَ روحاً جديدة في تذوق الشعر الفارسي، الذي كادَ أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في الهند[1].

يقول نـاقده محمود الشـيراني: «أحسّ العلامة شبلي بحاجة اللغة الأردية إلى كتابٍ في تاريخ الشعر الفارسي، فألف (شعر العجم) وهو أفضل ما ألف في هذا الموضوع باللغتين الفارسية والأردية دون استثناء، واعترفت بلاد الهند بفضله وقيمته، وقد صدرت له عدة طبعات»[2].

يقول الأستاذ خليق أنجم: «قد نُقلَ الكتاب إلى اللغة الفارسية، ويراه أهل فارسَ معلمةً أدبيةً مرموقةً»[3].

يقول رام بابو سكسينه: «كتابه (شعر العجم) في خمسة مجلدات ضخمة معلمةٌ بارزةٌ لدراساته، ومطالعته الواسعة، وبحثه الدقيق، نعم إنه أخطأ في مواضع، واكتشفت زلات، ولكنّها قليلة، ولا تنقصُ من فضله كناقد كبير. . إنّه استعراضٌ شامل للأدب الفارسي، وألف باللغة الأردية الفصيحة الرائعة»[4].

---

(١) موج كوثر، ص٢٢٦.
(٢) مقالات محمود الشيراني: ٥/ ٣.
(٣) مقدمة شبلي تنفيذ معاندانه كي روشني مين، ص٨.
(٤) تاريخ الأدب الأردي، ص٢٩٣.

٣ ـ حياة حافظ الشيرازي :

هذا الكتاب يتناول موضوعَ حياة الشاعر الفارسي الشهير حافظ الشيرازي وشعره، أبرزَ فيه جمالَ أسلوبه، وابتكارَ شعره، وسموّ خياله، وحسنَ بيانه، وفلسفة أخلاقه، وما يمتاز به من جمال التركيب، وحسن الصياغة، ودقة النظر، والمعاني الرائعة، والدقائق الأخلاقية والتصوف.

٤ ـ ترجمة الشيخ سعدي :

تحدّث في هذا الكتاب عن الشاعر الفارسي الشهير، والرحّالة الكبير والمصلح العظيم الشيخ مصلح الدين الشيرازي، وما يحمِلُ شعرُه ونثرُه من مكانة أدبية، وقيمة خلقية، وتجارب عميقة واسعة لم يُسبَقُ إليها.

٥ ـ ديوان شبلي :

طبعت مجموعة قصائده باللغة الفارسية باسم (ديوان شبلي)، وله مجموعتان في الغزل الفارسي :

ـ (سته كل) طبعت سنة ١٩٠٨م.

ـ (بوئي كل) طبعت سنة ١٩٠٨م.

يقول رام بابو سكسينه عن غزله الفارسي : «يمتازُ شعره في الغزل

الفارسي بالتبحر التام، وجودة الفكر، وجمال التعبير، وفصاحة الأسلوب، وقوة التأثير، والعفوية»[1].

تقول بعض التقديرات: إنّ شبلي قد قال نحو خمسة آلاف بيت في جميع الأصناف الشعرية باللغتين الفارسية والأردية.

ولما اطلع العلامة ألطاف حسين حالي الشاعر الكبير على (دسته كل) أشاد به وقال: «كنتُ أنوي أن أطبع كلامي الفارسي شعراً ونثراً، ولكن لما رأيتُ (دسته كل) سقط شعري في الغزل من عيني، وليسَ في ذلك شائبة من التصنّع»[2].

ويقول أستاذ اللغة الفارسية الكبير رئيس النعماني: «كان العلاّمة شبلي النعماني أحدَ الشعراء الأربعة الكبار باللغة الفارسية في القرن الرابع عشر الهجري، يحتذي شعرُه حذوَ شعر أهل فارس، ويمتاز بين معاصريه بسعة دراسته للأدب الفارسي والشعر الفارسي، وذوقه الشعري العالي، لم تنجب الهند خلال مئة سنة ماضية من يضاهيه في الشعر الفارسي»[3].

لم يجعل الشعرَ موضوع حياته، ولكن ما تركه يكفي لتقرير أنّه كان

---

(١) تاريخ الأدب الأري، ص٢٩٣.
(٢) العلامة ألطاف حسين حالي، كليات نثر حالي: ٢/ ٢٩٣.
(٣) مجلة (معارف) عدد مايو ـ أيار ١٩٩٧م.

في الصف الأول من شعراء الفارسية، يقول مولانا أبو الكلام آزاد: «لم يختم الشعر الفارسي في الهند على غالب، وإنما ختم على شبلي»[1].

بدأ حياته الشعرية باللغة الفارسية، ثم اتجه إلى كتابة الشعر باللغة الأردية فتناول المواضيع الاجتماعية، والسياسية، والخلقية، وكان لشعره عن حروب البلقان، وحادثة مسجد كانبور تأثيرٌ قوي في المجتمع الهندي، وطبعت مجموعة شعره باللغة الأردية باسم:

٦ ـ مجموعة كلام شبلي.

* * *

---

(١) أبو الكلام آزاد وصدر يار جنك: كاروان خيال، بجنور، ١٩٤٦، ص٩٤.

الفصل الخامس

كتاباته المتفرقة

١ ـ ظل الغمام في مسألة القراءة خلف الإمام :

ألّفه في تأييد المذهب الحنفي في كراهة القراءة خلف الإمام، طبع بكانبور سنة ١٢٩٢هـ، وفيه ردٌّ على من أوجبَ القراءة خلف الإمام، وكان يؤلمه التعرّض للمسائل الخلافية، ولكن لما اشتدت معارضةُ بعض العلماء للمذهب الحنفي في هذه المسألة ردَّ عليهم، فبدأ بمقدمة أبدى فيها حزنه على ما آلَ إليه أمرُ بعض العلماء من إثارة المسائل الخلافية، وتفريق الأمة، وتشتيتِ شمل المسلمين، والتسابب والتشاتم، والتحاكم إلى الكفار.

يقول عن هؤلاء العلماء المشاغبين: «إنّهم تجاوزوا السبَّ والشتم إلى الضرب والطعن، حتى اضطرت الحكومة إلى التدخل، فاستسلمنا لقضاء الحكام الإنكليز في خلافاتنا الدينية التي رفضنا الاستجابة فيها لآراء العلماء والمجتهدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار»!!.

رسائله:

إن الرسائل نوعٌ أدبي كبير، ومصدر هام للتاريخ، ومن ثمَّ كانت العناية بجمع رسائل العلماء الكبار والمربين العظام كبيرةً في تاريخ الإسلام، يقول شيخنا الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي:

«إنَّ الرسـائل من أبرز النماذج الكتابيـة التي يتجلّى فيها التأثيـرُ والإمتاعُ، فقد يتخذها صاحبُها ذريعةً لنقل تأملاته وانفعالاته النفسية، وتكون ناجحةً في إصابة الغرض عند ما تكون طبيعية غيرَ متكلّفة، وقد تكون موجهةً من شخص إلى شخص يراعي الكاتبُ فيها مستوى المرسل إليه في الفهم والانفعال، لما يوجهه إليه من حديث النفس، فقد تكون الرسالة من أخ إلى أخيه، أو من صديق إلى صديقه، أو من رجل يتمتع بارتباطٍ عاطفي برجل آخر، ويتنوع هذا الارتباط، ويتصّفُ بالمشاركة المتبادلة في ظروف الحياة وآلامها وأحلامها، ولذلك دامت الرسائل في فترات مختلفة من التاريخ مادة نابضة من الأدب»[1].

وتتسم رسائل شبلي بهذا التنوع الأدبي، وطبعت ثلاث مجموعات لرسائله:

١ و ٢ ـ (مكاتيب شبلي) في جزأين.

---

(١) مقدمة رسائل الأعلام، ص٣.

٣ ـ (خطوط شبلي) .

وهذه الرسائل تعتبر من أهم نماذج الأدب الأردي ، ويعد شبلي على رأس أولئك الأدباء الذين نالت رسائلهم الخلود والبقاء في اللغة الأردية .

يقول الأستاذ مهدي حسن : «من مزايا العلامة شبلي أنه كان مطبوعاً على الكتابة بالمنهج الذي كان يتكلّم به ، وكان خطه في غاية الجودة والجمال»[1] .

الرحلة :

زار العلامة البلدان الإسلامية : تركية ، ومصر ، والشام سنة ١٨٩٢م ، وألف مذكراته باسم :

٤ ـ (رحلة القسطنطينية ومصر والشام) التي طبعت سنة ١٨٩٤م .

كتب الأمير مولانا حبيب الرحمن خان الشرواني في تعليقه على هذا الكتاب :

«من المزايا التي تنفرد بها هذه الرحلة أنّ البلدان الإسلامية ألقيت عليها النظرة التي تستحقها ، فالرحّالون والمدوّنون لذكرياتهم كثيرون في

---

(١) مكاتيب شبلي : ١/٦ .

هذا العهد ولكنّه نظر إلى إستانبول والقاهرة بالعين التي يقتضيها العصر الحديث».

الخطب:

من نعم الله تعالى على العلامة شبلي أن أكرمه بملكة الخطابة النادرة، يسحر بها قلوب المستمعين، ويستهوي ألبابهم، ويتحكّم في نفوسهم، ويستولي على عواطفهم ومشاعرهم، ويسحر عقولهم، كان أسلوبه في الخطابة علمياً وبرهانياً.

وكانت معظم خطبه ارتجالية فضاعت، وأما الخطب التي أمكن تدوينها فقد طبعت باسم:

٥ ـ خطبات شبلي.

٦ ـ باقيات شبلي.

٧ ـ المقالات:

وقد كتب العلامة شبلي النعماني مقالات علمية وأدبية وتاريخية كثيرة، تغلب عليها روح البحث والتحقيق والدراسة والتنقيب، نشرت في مجلة (الندوة) وغيرها من المجلات العلمية والأدبية، وجمعت هذه المقالات في ثمانية أجزاء حسب موضوعاتها وهي كما يلي:

ـ الجزء الأول: مقالات دينية.

ـ الجزء الثاني: مقالات أدبية.

ـ الجزء الثالث: مقالات تعليمية.

ـ الجزء الرابع: مقالات في النقد.

ـ الجزء الخامس: مقالات في السيرة.

ـ الجزء السادس: مقالات تاريخية.

ـ الجزء السابع: مقالات في الفلسفة.

ـ الجزء الثامن: مقالات وطنية وصحفية.

إنّ بحوثه ومقالاته التي دبجها يراعه، والتي نُشرت في مجلة (الندوة) وغيرها من الصحف والمجلات لعبت دوراً كبيراً في ترسيخ الكتابات العلمية باللغة الأردية.

يقول الشيخ إكرام: «إلى جانب هذه المؤلفات المفردة أثمرت شجرة شبلي العلمية تلك الثمار الطيبة التي نشرت كمقالات في (الندوة) وغيرها من المجلات، والتي لعبت دوراً كبيراً في تنمية الذوق العلمي في الشعب الهندي»[1].

---

(١) موج كوثر، ص٢٢٧.

مكانة كتاباته:

نالـت مؤلفات شبلي وكتاباتـه قبولاً عظيماً في حياته وبعد مماته، يقول العلامة الشريف عبد الحي الحسني عنها: «وكلُّها تُلقيت بالقبول، وحصلت له شهرةٌ عظيمةٌ في بلاد الهند»[1].

* * *

(١) السيد عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر: ٨/ ١٧٦.

الخاتمة

نظراً إلى المآثر والمفاخر المتنوعة التي اجتمعت في العلامة شبلي والتي سبقت تفاصيلها في الصفحات الماضية فإننا لا نخطئ إذا قلنا : إنّه كان إنساناً غير عادي، كان مؤرخاً، بل صانعاً للتاريخ، وكاتباً، بل مخرّجاً ومربياً للكتّاب والمؤلفين بالمُثل الخُلقية العليا، ومثالاً بديعاً للمدنية الشرقية القديمة.

تعتبر مؤلفاته ومقالاته العلمية والأدبية ثروةً قيمةً نادرةً للغة الأردية والأدب الأردي، كان أصغرَ معاصريه وأقلّهم سناً، إلا أنّه فاق الكبار بمآثره العلمية وعظمته الباهرة.

وأخيراً ندعو الله عز وجل أن يجزيه عنا وعن الإسلام خيراً، ويعفو عن سيئاته، ويجزل مثوبته عنده، وينفعنا بعلمه، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

* * *

مراجع البحث

ـ آزاد كي كهاني خود آزاد كي زباني (قصة حياة مولانا أبي الكلام آزاد)، لاهور.

ـ أردو كي أدبي معركي، لأمير حسن نوراني، لكنؤ، ١٩٦٩م.

ـ تاريخ الأدب الأردي (باللغة الإنكليزية)، لرام بابو سكسينه، إلـه آباد، ١٩٢٧م.

ـ تاريخ ندوة العلماء، مجلدان، المجلد الأول لمحمد إسحاق جليس الندوي، والمجلد الثاني لشمس تبريز خان، ندوة العلماء بلكنؤ، ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ الموافق لـ ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م.

ـ حياة شبلي، للسيد سليمان الندوي، مجمع دار المصنفين بأعظم كره ١٩٨٨م.

ـ رسائل الأعلام، إخراج محمد الرابع الحسني الندوي، لكنؤ ١٤٠٥هـ.

- سوانح مولانا رومي، للعلامة شبلي النعماني، كانبور.

- سيرة النبي ﷺ، للعلامة شبلي النعماني، لاهور ١٩٩١م.

- سيرة النعمان، للعلامة شبلي النعماني، أعظم كره ١٣٥٥هـ.

- شبلي معاندانه تنقيد كي روشني مين، للسيد شهاب الدين الدسنوي، أنجمن ترقي أردو هند ١٩٨٧م.

- شخصيات وكتب، لأبي الحسن علي الندوي، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- العدالة الاجتماعية في الإسلام، للشهيد سيد قطب، دار الشروق ١٤١٥هـ.

- علامة شبلي كانظريه تعليم، للدكتور عبيد الله الفراهي، أعظم كره ١٩٨٨م.

- كليات نثر حالي، مجموعة كتابات ألطاف حسين حالي النثرية، لاهور ١٩٦٨م.

- المأمون، للعلامة شبلي النعماني، مجمع دار المصنفين بأعظم كره ١٩٢٦م.

- مقالات حافظ محمود الشيراني، لاهور ١٩٧٠م.

- مقالات سير سيد، للسيد أحمد خان، لاهور ١٩٦٢م.

- مقالات شبلي، للعلامة شبلي النعماني، مجمع دار المصنفين بأعظم كره.

- موج كوثر، للشيخ محمد إكرام، إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور ١٩٩٠م.

- نزهة الخواطر، للعلامة الشريف عبد الحي الحسني، حيدر آباد ١٣٩٩هـ.

- ياد رفتكان، للعلامة السيد سليمان الندوي، كراتشي ١٩٨٣م.

- يادكار شبلي، للشيخ محمد إكرام، إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور ١٩٧١م.

* * *

الفهرس

* * *